الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص : فلسفة عامة وتعليميتها

تحت عنوان :

الوجودية والنزعة الانسانية عند جون بول سارتر

من إعداد الطالبين :

- عرار عمار أمحمد
- بطاهرات جميلة

تحت إشراف أ.د :

- حموم لخضر

السنة الجامعية : 2015/2014

مقدمة

لعل أهم ما يميز الوجودية من بين سائر الاتجاهات والتيارات الفلسفية الحديثة والمعاصرة أنها أوسع انتشارا وربما تكون من أكثرها ملائمة لروح العصر ، وفي نفس الوقت تعتبر من أكثرها غموضا في أذهان الناس ،فإن التفكير الوجودي لم يظهر فجأة على مسرح الحياة الإنسانية إنما هو بمثل حلقة من سلسلة التفكير الإنساني ، سبقتها حلقات أخرى ومهدت لقيامها عوامل ومقدمات كثيرة .

فلقد نشأت الفلسفات الوجودية في تاريخنا المعاصر كرد فعل عنيف ضد المذاهب العقلية بوجه عام ومذهب هيغل بوجه خاص ، ولعل الثورة على هيغل كانت القاسم المشترك الأعظم لدى الفلاسفة الوجوديين فإن نقطة بداية في الفلسفات الوجودية هي التجربة العينة الحية التي يعانيها الإنسان مباشرة .

فنجد أن اسم الوجودية اقترن بالفيلسوف الوجودي وكاتب وروائي الفرنسي جون بول سارتر (1905- 1980) فكان واحد من أعلام هذه النزعة ،ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأنا نتعرف على فلسفته التي انبعثت مع الدمار الذي سببته هذه الحرب وتبلورت مواقفه في ظل الصراعات التي كانت آنذاك فكان سارتر يسعى للاستقلال والتحرر حيث قاوم احتلال فرنسا من أجل حريتها ، ومن هذا التقت أفكاره ومواقفه مع الطموحات السامية للتحرر .

فإن فلسفة سارتر كانت أقوى تيار فلسفي ساد فرنسا لأكثر من ربع قرن ، وتبعت فلسفته هذه منهجا معينا هو المنهج الفينومينولوجي وتقدم لنا انطولوجيا أي علم للوجود ، ومن هنا يمكننا القول أن فلسفته هي دراسة فينومينولوجيا للوجود ومن أهم قضاياه " قضية سبق الوجود على الماهية " فماهية الكائن هي ما يحقق فعلا عن طريق وجوده واحتوت كذلك فلسفته على بعض المفاهيم " الحرية والمسؤولية ، الاختيار، القلق

الالتزام" مما يمكن أن نقول أن فلسفة سارتر كان هدفها دراسة المواقف التي تطرق على إنسان في حياته أي كان هدفها دراسة الإنسان.

وهذا ما حولنا من خلال بحثنا هذا المتواضع أن نتناوله ضمن عنوان الوجودية والنزعة الإنسانية عند جون بول سارتر مع طرح الإشكالية التالية : **ما هي طبيعة الوجود الإنساني عند سارتر ؟ وإلى أي مدى حاول أن يبين أن الوجودية هي نزعة إنسانية ؟**تضمنت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات تتمثل فيما يلي :

-كيف عكست الفلسفة المعاصرة الإنسان في الوجود ؟ ونزوعه إلى تحديد طاقته الروحية

ـ إذا كانت الفلسفة الوجودية تعبر عن أصل مشكلة الوجودية للإنسان فهل هي كذلك ؟
- كيف علاج سارتر الحرية وعلاقته بالمسؤولية وغير ذلك من مفاهيم أخرى ؟

وللإجابة على هذه التسؤولات كان لابد من اتباع من المنهج التحليلي لبحثنا بحيث يتضمن فصلين .

ففي الفصل الأول اقتصرت دراستنا برجوع إلى الجذور التاريخية للوجودية فوجدنا لهذه الأخيرة أنها لها شجرة نسب عريقة بداية بمرحلة التفكير الأسطوري ومرورا بمرحلة التفكير الفلسفي القديم إلى مرحة ظهور المسحية إلى عصر الوسيط وصولا بذلك إلى مرحة الإصلاح الديني الذي يتضمن بدوره (عصر النهضة وعصر والتنوير) ، ووقفنا عند كل من أبو الوجودية سورين كيركجورد والثورة التي أقامها على المثالية الهيغلية وبما أن الوجودية تحتوي على مبادئ كان لابد أن نذكر مبادئ الوجودية في الفلسفة المعاصرة وحولنا في الفصل الثاني أن نطرح أراء سارتر في الوجودية وطرحنا لقضيته الرئيسية أو بما يسمى بمبدأ الرئيسي لوجوديته وهي " الوجود سابق على الماهية " إلى غير ذلك من مبادئ الذي تضمنتها فلسفته وهي الحرية والمسؤولية

وبما أن عنوان الفصل الثاني "النزعة الإنسانية " فأردنا أن نتكلم عن موقف سارتر من الوجودية على أنها نزعة إنسانية .

وفي الخاتمة قمنا باستنتاج بسيط حول عاملنا هذا وما توصلنا إليه من دراستنا للوجودية سارتر وكيف بينا لنا أنها تدرس الإنسان وفي الأخير نرجو أن يكون عملنا هذا موفق .

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى من حملتني وهن على وهن في ظلمات ثلاث .....

فعرفت الظلام قبل أن أعرف النور ..... وعرفت أن الحقيقة نور تولد من رحم الظلام ..... إلى أمي رعاها الله وأطال الله في عمرها

إلى منبع عزمي وقوتي من كان ولا يزال شمعة تحترق كل يوم من أجل أن تنير دربي إلى والدي العزيز حفضه الله .....

إلى أعز مخلوقة في الكون جدة الغالية والحنونة أدمها الله بركة لنا أطال الله في عمرها

إلى من أكن لها الاحترام وتقديري إلى رمز الصبر والحنان زوجتي

إلى الذين رأيت نور الحياة بفضلهم إلى الذين علموني النجاح حليف كل المثابرة وإرادة وعمل الصالح إخوتي وأخواتي .....

إلى من قاسمتني هذا العمل صديقتي " جميلة " وإلى كل الزملاء وخاصة الذين رافقوني طوال المشوار الدراسي وإلى كل طلبة وأساتذة قسم الفلسفة بجامعة مستغانم دفعة تخرج ماستير 2015

أمحمد

فهرس الموضوعات

أ-شكر وتقدير

ب – إهداء

ت – إهداء

ج – مقدمة

الفصل الأول : الوجودية

المبحث الأول : الجذور التاريخية للوجودية 07

المبحث الثالث :كيركجورد وثورته على المثالية الهيغلية.....16

المبحث الثالث : مبادئ الوجودية في الفلسفة المعاصرة 24

الفصل الثاني : النزعة الإنسانية عند جون بول سارتر

المبحث الأول : الوجود سابق عن الماهية 32

المبحث الثاني : الحرية.....40

المبحث الثالث : موقف سارتر من الوجودية على أنها نزعة إنسانية.....48

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الإهداء

أهدي هذه المذكرة وثمرة جهدي المتواضع إلى نور عيني وقلبي

يا أغلى ذكرى تحيا فينا إلى أبويا

إلى من حملتني وهن على وهن والتي وضعت الجنة تحت قدميها وكانت نبراسا يضيء طريقي ومنبعا للعطف والحنان وحافزا على نجاحي وكان دعائها سندا لي إلى أغلى مخلوق في الإنسان وفي دنيا

أمي ، أمي ، أمي

إلى من علمني الاحترام ومعنى الحياة وأن الصبر أساس النجاح والذي لم يبخل علي الدعم المادي والمعنوي إلى أبي الكريم والغالي

إلى من قاسموني ظلمة الرحم إلى أخواتي

إلى زميلي وصديقي وشريكي في العمل "أمحمد" وإلى كل أصداقي بقسم الفلسفة دفعة "2015"

جميلة

شكر وتقدير

الحمد لواهب العقل ومبدعه ومصور الكل ومخترعه كفى إحسانه القدير وأفضاله والصلاة على سيدنا محمد وآله

التوجه بالحمد والشكر لله عز وجل فله الفضل وهب أوله وآخره يطيب لنا ونحن نبحث في هذا العمل أن نتذكر بكل فخر واعتزاز وعرفان جميل أستاذنا المحترم " حموم لخضر " وأن نشكره على حبان إياه برعاية وتوجيه في هذا البحث

وشكر كل أساتذة قسم الفلسفة وكذلك نشكر كل من ساعدنا في هذه المذكرة سواء بلسانه أو بيده أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان

الفصل الأول

الوجودية

المبحث الأول : الجذور التاريخية للوجودية

المبحث الثاني : كيركجورد وثورته على المثالية الهيغلية

المبحث الثالث : مبادئ الوجودية في الفلسفة المعاصرة

الفصل الثاني

النزعة الإنسانية عند جون بول سارتر

المبحث الأول : الوجود سابق على الماهية

المبحث الثاني : الحرية

المبحث الثالث : موقف سارتر من الوجودية على أنها نزعة إنسانية

مدخل إلى الفصل الأول:

إن القلق واليأس و الملل و العبث و التمزق , إنها كلمات لا تكاد تخلوا منها صفحة من الصفحات أولئك الفلاسفة و هي معاني و حقائق لا تفارق ضمير أو قلب الإنسان,إن الواقع في نظر هؤلاء الفلاسفة كابوس مؤلم لا يطاق و الموت هو مشكلة المشاكل ,فهو يثير الرعب لأنه يجعل كل الحياة التي سبقته عبثا و سخفا,بل إن الإنسان يشرع في الموت بمجرد ما يولد و حياته ليست إلا المدة التي يستغرقها في عملية الوفاة و ليس غريبا بعد ذلك أن يصبح اليأس والقلق والعبث عناوين للحياة .

إن الحيـاة الحقة عند "هيدغر" تكون في اليأس,و فيما ورائه,تكمن الحياة الحقة عند"سارتر" بل عنده أن الإنسـان في صميم القلـق,ويرى فلاسفة آخرون أن حيـاة الإنسـان ممتدة بين التسليم والتمرد, فـوجـوده تمزق و سلب وهو العالم اللامعقول و ليس له خلاص إلا في الهروب من تعاسته الحاضرة,إن اليـأس و القلـق للظلمة الإنسانية.

هذه وغيرها كثير،هي الملامح التي تطبع وجه العالم اليوم،تبرز جلية مجسمة في معطيات كبار الفلاسفة الوجوديين ،إنها فوضى تأخذ بخناق العالم ،تبعثر كل ما تبقى فيه من نظام وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية وعلى مرأى من الإنسان .

يمكن القول إنها آلة طاغية عارمة حولت الإنسان إلى آلة وسحقت كل تجارب الروح والوجدان ،وجماعية قضت على كل مطمح بالتفرد والنبوغ التفوق والإبداع وعزلة غربية مضنية إزاء عالم أمم لا يستجيب إلى توسلات الإنسان ،وسقوط وتهافت في سائر النظم السياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم ،بالإضافة إلى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل النووية ،وميكيافلية تضحي بكل خلق وقيمة في سبيل المصلحة الغاية ،في ظل هذه المأساة ،حيث كان الإنسان هو الخاسر الوحيد والضحية بدون ذنب أو ثمن أدرك الوجوديون سوء الداء وسبب النزيف وعلى رأسهم

سارتر ،فكانت فلسفتهم وأفكارهم محاولة جادة لإيقاف النزيف وعلاج الداء ،حيث دعت الفلسفة الوجودية في مضامين أفكارها إلى تأكيد الحرية الفردية في شكل يتلاءم لظروف التي نشأت فيها ،ويمكن تلخيص حديثنا في ثلاث عوامل بارزة في تشكيل الوجودية :

العامل الأول :التقدم العلمي وسيطرة الآلية على الإنسان .

العامل الثاني:الحرب العالمية الثانية وتخريب الإنسان .

العامل الثالث :بداية الانهيار التدريجي للحضارة الغربية.

في هذه الظروف ظهرت الوجودية لتعبر عن تلك السمات في صورة فلسفية ،ولكي تؤكد أهمية الوجود الفردي للإنسان وهذا ما دعي إليه أبو الوجودية "كيركيغارد " حيث كان للإنسان الحظ الأوفر والجانب الكبير من الاهتمام في الفلسفة الوجودية المعاصرة ،حيث دعته إلى التمرد على سيطرة المجتمع ،محاولة بذلك إشعاره بكيانه المستقل لكننا نتساءل:

كيف عكست الفلسفة المعاصرة قلق الإنسان في الوجود ؟ ونزوعه إلى تحديد طاقاته الروحية؟

وإذا كانت الفلسفة الوجودية تعبر عن أصل المشكلة الوجودية للإنسان فهل هي كذلك؟ .

المبحث الأول: الجذور التاريخية للوجودية:

رحلة الإنسان في الزمان هي صراع طويل من أجل إثبات الذات وتحقيق وجود شخصي أصيل والإنسان.

في الكون ليس مجرد جزء على الإطلاق وإنما هو يرتبط به دائما وأبدا بعلاقات التوتر مع إمكانيات للصراع المأساوي ينهى في بعض الأحيان بالإحباط وفي كل الأحوال قد ينتهي بالموت "الواقع أن الإنسان بهلع جدال وجوده كما الحال اليوم إذا استنطق ذاته ولم يتمرد بكبرياء وكمنهجية على كيانه المطلوب وشخصه الثغور كما يتمرد اليوم عن قضية الإنسان الذي يبحث عن طريقه فلما لم يجدها قي الخارج أو توهم انه لم يجدها انطلق يفتش عنها في أعماق ذاته في عزمه ألا يخرج منها أبدا خوفا من تكرار فشله "[1].

هذا الجانب المأساوي للوجود البشري قد وعته الوجودية بالفعل ،وعلى الرغم من أن هذه الوجودية بتنوع أشكالها وتطوراتها تنتمي إلى العصور الحديثة فإنه بإمكاننا تعقب جذورها إلى فترات بعيدة من صيرورة الفلسفة بل حتى في تلك المحولات الأولى والساذجة التي قام بها الإنسان قبل ظهور الفلسفة كي يصل إلى لون من ألوان "الفهم لذاته"[2]،وقد تبددت بدرجات متفاوتة طوال التاريخ البشري من الفهم والوعي بالذات الذي يسيطر على الاتجاه الوجودي وبتلك المواضيع الشبيهة بذلك الاهتمام ،قد رأيناه مميزا للوجودية في مراحل ثقافية معينة وقد يبدو في كثير من الأحيان أن هذه المسائل لم تكن ذات بال واهتمام جوهريين غير أن الوجودية لها شجرة نسب عريقة ،ويمكن تعقب هذه القصة ،قصة الوجودية عائدين القهقرى إلى المرحلة الأسطورية في التفكير وصولا إلى العصر الحديث ومنه صدق أرسطو عندما ذكر في بداية كتابه الميتافيزيقا عبارته الشهيرة "كل إنسان يرغب بطبعه في المعرفة" [3] .

[1] معني الوجودية :دراسات توضيحية مشتقاة من أعلام الوجودية ، دار الكتب ،بيروت د ط ص126
[2] جون ماكوري :الوجودية ،تر إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة فؤاد زكرياء ،علم المعرفة ، الكويت د ط 1982
[3] دمصطفى النشار : المصادر الشرقية القديمة ، دار القباء للطباعة والنشر ط1 1998

1)- *مرحلة التفكير الأسطوري:*

لا شك أن الأساطير[1] بالنسبة للإنسان القرن العشرين تمثل التاريخ الذي يسرد أخطاء العقل البشري ولكن وعلى الرغم من ذلك فهي أشبه بالمنظومة المعرفية والثقافية والتاريخية تخص حقبة زمنية معينة ووجود بشري محدد ،تعكس في جوهرها تلك الاهتمامات والصراعات التي قام بها الإنسان الأول من أجل كشف غطاء المجهول وتبديد الضباب والغموض الذي يكشف وجوده ولقد حازت هاته الأساطير على قسطا كبيرا من اهتمام المحللين والنقاد والمؤرخين من بينهم الفيلسوف الألماني "شلنج" (1775_1854) من خلال كتابه (عصور العالم) وكذلك "شتراوس" (1800-1874) وكاسرير (1874-1945) "ويونغ"(1875-1961) "وبلتمان والياد".فقد ذهبت أحدث النظريات في تفسير الأساطير إلى أنها تعبر بطريقة رمزية عن حقائق خاصة بفكر الإنسان ،أما التحليل النفسي [2] فقد لفت الأنظار إلى ذلك التوازي القائم بين الأساطير والأحلام ورأت فيها إسقاطات وتجسيدا للرغبات والصراعات الداخلية .

أما الوجودية فقد رأت في الأساطير المحاولات التي تلمس فيها الإنسان الطريق نحو العثور على الهوية IDENTITI[3] أي أن "حكاية الأصول البشرية إقرار بلون من الفهم الذاتي "[4] ضف إلى ذلك " القصص التي تحكيها البدايات الإنسانية تعني الاعتراف بالفهم الذاتي "[5].

أي أن هذا الأمر يظهر بوضوح في تلك الأساطير التي تحكي الأصول البشرية ولعل هذا اللون من ألوان الفهم الذاتي والتساؤل الأساسي حول الذات البشرية هو ما اتسم به الأسلوب الوجودي في التفلسف ،فقد كافح بالفعل حتى يعبر عن نفسه في الحقبة التي كان

[1] الأساطير أو الأسطورة : هي قصص أو حكايات تتجلى فيها أعمال ومهارات وتتمحور على دلائل رمزية
[2] على عبد المعطي محمد : في الفكر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية د ط ص61
[3] جون ماكوري : الوجودية ، مرجع سابق ص45
[4] المرجع نفسه ص45
[5] معنى الوجودية : دراسات مشتقة من الأعلام الوجودية ، مرجع سابق د ط ص95

فيها التفكير البشري أسطوري الطابع ،فالإنسان الأسطوري صارع بالفعل في سبيل الفهم واكتناه الغموض الذي طبع وجوده محاولا إيجاد المتناقضات الظاهرة في هذا الوجود ،وهذه كلها محاولات ما قبل الفلسفة للتعبير في صور ميثولوجية أسطورية عن وعي الإنسان بالوجود الذي لازمه منذ بداية وجوده.

2)- *مرحلة التفكير الفلسفي القديم:*

من عالم الأسطورة الذي يشبه الحلم ،استيقظت البشرية ،وبينما أصبح الوعي مرهفا والفكر التأملي النقدي حاضرا وإثارة الشكوك الجدارية شيئا واقعا بالفعل ،فبدأت بوادر التفكير التأملي تلوح في الأفق وبدأت مواضيع التي كانت فيها سبقا مستقرة بين أحشاء الأساطير وخاصة تلك التي تصطبغ بالصبغة الوجودية تنفتح وتظهر بصورة صريحة ومتزايدة ولعل أعظم إسهام من أجل فهم بزوغ الفكر التأملي التي تلي الحقبة التفكير الأسطوري هو الذي عبر عنه الفيلسوف الوجودي كارل ياسبرز بمصطلح "العصر المحوري" [1] AXIALIAGE.

حيث اعتبرها النقطة الأعظم تأثيرا في تشكيل البشرية وتحولها التاريخي وكان ذلك حوالي 500ق م،أي قبل هذا العالم وبعده بحوالي قرنيين أو ثلاثة وهي فترة الازدهار الهائل للحضارة اليونانية حيث شقت أول جهود في العالم للتفلسف ،طريقها من "طاليس وهيراقليطس وبارمانيدس" وحتى سقراط و"أفلاطون" "وأرسطو" وراح كتاب الدراما والشعراء اليونان يتأملون المصير البشري ويدنون ملاحظاتهم عن المجتمع وقوانينه"تلك الحقبة ظهر بعث عجيب واسع الانتشار للروح البشري "[2] ومنه يمكن القول أن هذا العصر ا"العصر المحوري" اصطبغ بالصبغة العقلانية والوجودية معا،ولقد عبر كارل ياسبرز تعبيرا جيدا عن هذه الحقبة التي نمت فيها البذور الأولى لنشأة الوجودية على النحو التالي:

[1] جون ماكوري : الوجودية ، مرجع سابق ص48
[2] رمضان لاوند : الوجودية والوجوديين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت د ط ص95

"الجديد في هذا العصر هو أن الإنسان أصبح على وعي بالوجود ككل وعلى وعي بذاته وحدوده ولقد مر بتجربة الرعب في العالم ،وتجربة الإحساس بعجزه وطرح تساؤلات جذرية ،وعندما أصبح أمام الفراغ وجها لوجه كافح من أجل التحرر والخلاص ،ولما أدرك حدوده عن وعي وضع لنفسه الغايات العليا حفر صفات المطلق في أعماق ذاته، وفي صفاء العلو ونوره.....[1].

وعلى الرغم من عدم تحقق هذه الصفات في كل الشعوب إلا أننا نجد في جميع الحضارات وجميع الألوان والخبرات المختلفة التي تعبر عنها نجد الإنسان الذي يواجه نفسه بطريقة جديدة ويصارع ليتغلب على مشكلة فهم ذاته ،وقد قسم "كارل ياسبرز " هذا العصر –ذي العصر المحوري – إلى اشتراك كيانات وجودية فاعلة في هذا العصر وهي كالآتي:

الفكر اليهودي الديني في عصر الأنبياء ،الثقافة الكلاسيكية اليونانية ،وفلسفة الشرق الدينية .

أولا :الفكر اليهودي

يظهر الطابع الوجودي للتعاليم الدينية واضحا ،ممثلا في فكرة التوبة والندم وهذا في حد ذاته يمثل ثورة في مجال الوجود الإنساني لا بوصفه توبة فقط بل بحثا عن وجدود إنساني أصيل "لذا كانت أصالة الوجودية تكمن في أنها بينت أن الأجوبة عن مسائل مثل ما الإنسان؟ ما العالم؟ ما الأصل المسموح لي؟ تتوقف كلها على فكرة التي نكونها عن الوجود الإنساني"[2].

وعليه فإن التحول الذي دعى إليه الأنبياء لم يكن مجرد نبذ للأساطير والديانات الوثنية فحسب ،بل كان يعني تحولا نحو المستقبل ،وتعبيرا آخر لقد دعى الأنبياء الناس إلى مواجهة الوجود البشري بما يتسم به .

من طابع زماني وتاريخي جذري وإلى الخروج من الرحم اللازماني للفكر الأسطوري.

[1] جون ماكوري ، الوجودية ، مرجع سابق ص44
[2] تقولا هربان : مدخل الفلسفة المعاصرة ،تر خليل أحمد خليل ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط1 ص97

إن الإثم والتحول والمسؤولية والبحث عن وجود إنساني حقيقي والاعتراف بحقيقة الزمان والتاريخ كلها موضوعات وجودية رئيسية حولتها تعاليم الأنبياء.

ثانيا:الفكر اليوناني

بـدأ الفكـر اليوناني بفلسفة طبيعية عند طـاليس وأنكسيمانس (588_ 525ق م) وأنكسيمندر (610-540ق م) متجهة نحو الوجود الطبيعي الخارجي، نحو العالم المادي ،مقصية الوجود الإنساني من بحثها الفلسفي ومهما كانت بحوث الفلاسفة الطبيعيين مهمة سواء بارمنيدس (540-488 ق م) بمعنى " الفلسفة الإلية" حيث يقول أن العالم كرة مادية متصلة لا يوجد لها خلاء وعليه فالعالم عنده موجود واحد وطبيعة واحدة ومنه فهو يرفض فكرة اللاموجود إضافة إلى هيرقليطس (530-470 ق م) إلا أن سقراط (470-399 ق م) يبقى ذو أهمية بالغة في تكوين فلسفة الوجود ، وبدأت معه الثورة على الفلسفة الطبيعية تتشعب محولة بذلك اهتمام الفلسفة إلى الإنسان بدل الطبيعة ،فأصبح الحوار الذاتي منهجها والمعرفية الذاتية هدفا لها ومن أجل هذا أطلق سقراط صرخة في الإنسان "أيها الإنسان أعرف نفسك " معلنا عدم كفاية المعتقدات الشائعة حول الشفقة والشجاعة والعدالة ،بل يجب التعمق في فهم الحياة التي يشارك فيها بالفعل بوصفه بشرا وكان سقراط في استشهاده من أجل الحقيقة أعظم العقلانيين الوجودية ،وإلى جانب هذا هناك جوانب هامة في الفلسفة اليونانية على غرار جماعة السوفسطائين ورأسهم بروتاغوراس (480-410 ق م) القائل بأن "الإنسان مقياس الأشياء جميعا ما يوجد منها وما لايوجد"[1].

ثم جاء أفلاطون (427-347 ق م) حيث استوعب المذاهب التي سبقته ومحاولا التوفيق بينها حيث فسر العالم تفسيرا مثاليا وفرق بين عالمين هما العالم المحسوس والعالم المثل [2]،كما يمكن القول أنه هناك مذاهب أخرى على ظهور بوادر الوجودية مثل

[1]محمد أبو الريان :تاريخ الفكر الفلسفي ، دار الجامعات المصرية ط4 1772ص 51
[2]قري عزت:الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، الكويت ، 1993 د ط ص 197

ديانات الأسرار التي تسعى للخلاص ، ألوان الدراما المأساوية العظيمة التي عرضت وكشفت الصدام بين الوجود الإنساني ووجود الكون الغامض .

ثالثا:الفكر الشرقي

حاول كارل ياسبرز أن يقيم الصلة بين الأفكار الشرقية وبين وجودية الغرب وبين الصياغات البوذية الصينية وتعاليم الوجودية ويذهب إلى أنه مع نشأة الوجودية في الغرب ، كانت قد بدأت طرق التفكير الشرقية المتعددة تتقارب أكثر من أي وقت مضى منذ عدة قرون ،ويرى أن بعض الموضوعات في
الفلسفة الوجودية كانت هي التي شغلت اهتمام الفلسفة الشرقية القديمة لا سيما البوذية ويذكر على وجه .
خصوص مجموعة من الأفكار ذات دلالة وجودية خاصة مثل الوجود والعدم وظاهرة القلق التي تنشأ من مواجهة العدم[1].

3- مرحلة ظهور المسحية إلى العصر الوسيط

أدركت الرسالة النبوية معنى الحياة على أنه الوجود لمواجهة النهاية مما أضفى عليها ضرورة وجودية وعمقا يتجاوز مكان موجود عند أنبياء اليهود ويظهر الطابع الوجودي في تعاليم المسيح جليا في تركيز على لحظة النهاية بوصفها لحظة القرار ذلك أن الحياة وجود يقابل الأخيرة ويرى المسيح أن الدافع الرئيسي للطاعة والعبادة ليس في الثواب وعقاب بل يكمن في رغبة الفرد كسب وجوده الأصيل "فمن طلب أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلكها يحييها"[2].

كما يعتبر العهد الجديد بالنسبة للمسيحية الطريقة المثلى لفهم الوجود البشري وهي السبيل لتحقيق الوجود. إن التحول القديس "تولس " (14-8 ه) إن المسحية يعدلون وجوديا ذلك أن تحوله قد تم عندما وصل القديس إلى فهم جديد لذاته ، فكانت له ثروة من

[1] جون ماكوري : الوجودية ، تر إمام عبد الفتاح إمام ، مرجع سابق ص49
[2] المرجع نفسه ص50

المفردات اللفظية يعبر بها عن لاهوته الوجودي ،مثل الخطيئة ،الحلم ،الروح،البدن ،النفس ،الحياة ، العقل ، الضمير، القلب ، الحرية ،الإيمان ،الأمل االحب . وإلى جانب المسيحية فإن الغنوسية[1] :ترتبط ارتباطا وثيقا بالوجودية وذلك إن الخلاص عند الغنوس يعتمد على الوصول إلى الغنوس الحق .

TRUE-GMOSIS:المعرفة الحقة أي توجه الإنسان إلى معرفة ذاته.

الغنوسية بهذا الشكل تلقي الضوء على الوجودية المعاصرة وهذا ما يحدث إلى وجود قرابة بينهما ،ولعل هذه القرابة تكمن في تلك العدمية الكونية التي تأثر بها الإنسان المسيحي الأول .

وكان هذا سببا في اشتراك الغنوسية ووجودية في تجسيد في إحساس بوحشة من هذا العالم كما أنها إحدى المقدمات التاريخية للوجودية لا سيما في بعض أشكالها أكثر تشاؤما .

من القديس "تولس" إلى القديس أوغسطين augustin (354-430ق م)

بحيث يمثل هذا أعظم غرض وجودي للمسيحية, وهو غرض كان له مغزى خالد حتى أن الوجوديين اليوم يعترفون بأوامر مع هذا القديس ،كيف لا وقد سبق لديكارت (1596-1650) في ذلك الكوجيتو المرتكز على الإدراك نتيجة لإدراك الوجود واليقين ،فلقد كشف القديس أوغسطين في الإنسان نفسه سرا غامضا وعليه فإن الوجوديين سواء المسحيين أو غيرهم يعترفون بما قدمه ،لذلك قال أوغسطين "لا تبقى قابعا في ذاتك بل تجاوز هذه الذات أيضا وضع نفسك بين ذراعي من خلقك "[2]تشير هذه العبارة إلى أن أوغسطين فهم العلو الذاتي على أنه موجه نحو الله ، فالماهيات الكلية بهذا عند أوغسطين سابقة على وجودها أي على الوجود الذهني للإنسان.

1الغنوسية : من كلمة يونانية التي تعني المعرفة وهي نزعة فلسفية دينية صوفية معا ، سميت بهذا الاسم لأن شعارها هو أن (بداية الكمال) هي معرفة (غنوس) الإنسان هي غاية والنهاية .

[2]جون ماكوري : الوجودية ، تر إمام عبد الفتاح إمام ، مرجع سابق ص54

4)مرحلة الإصلاح الديني عصر النهضة والتنوير:

إلى جانب تعاليم أوغسطين في القرون الوسطى ظهرت في عصر الإصلاح الديني تعاليم مارتن لوثر mrtin luther(1483-1546) ألماني بروتستانتي لاهوتي مشبعة بالملامح الوجودية وتجلى ذلك في احتجاجاته ضد الفساد الباباوات ورجال الكنيسة وملوك الغفران من أجل حرية الإنسان المسيحي محاول أن يجعل منه المسؤول الوحيد عن وجوده الفردي داخل مجتمع مسيحي .

يقوم فهم لوثر للمسيحية على ركيزة واحدة هي الإيمان ومن مقتضاه إعطاء الأولوية للوجود الإنساني من خلال العلاقة الوجودية الشخصية بين الإنسان والله ودليل ذلك التعابير المختلفة "من أجلي ""من أجلنا" والتي تعتبر مفاتيح لوثر لفهم الإيمان .

كما يعتبر لوثر الإيمان بمثابة الفهم الوجودي واللاهوت وتضح ذلك جليا من خلال دراسته المتعلقة بشخصية المسيح كما ظهرت أشد العناصر تشاؤما في فكر لوثر في الوجودية ،فالإحساس بالعجز ،عجز الإنسان جنبا إلى جنب مع الرغبة في الخلاص كلها أفكار مسيطرة على فكرة مما ولد لديه انعدام الثقة في العقل ومن ثمة شبحا عنيفا له.

وإلى جانب لوثر نجد ذلك المفكر ،مفكر عصر النهضة الإيطالي جيوفاني بيكو ديلاميراندیلا (1463-1494) حيث استبق سارتر (1905-1980) بدعواه ،إذ هاجم الفكرة المدرسية القائلة بأن الإنسان طبيعة .

ثابتة لا تتغير ،وبذلك سبق في الواقع في قول سارتر من أن الإنسان هو الذي ينبغي أن يحدد المدى الذي يذهب إليه، ويمكننا أن نلمس هذا في كتابه "حول كرامة الإنسان .

يمكننا القول أنه في مسيرتنا الوجودية الشاقة والطويلة لم نعرف ولم نصادف لحد الآن سوى إشارات وملامح متفرقة منها ما تصطبغ بالفلسفة ومنها ما تصطبغ بالدين وعلى الرغم من عدم شموليتها واستقلالها وتحديدها أفكارا وجودية فقد كانت لها وشائج قوي بما نطلق عليه اليوم اسم الفلسفة الوجودية ولكن من الصعب نعتها بهذا الاسم وإلا وقعنا في مغالطة المفارقة التاريخية .

يتضح مما سبق أن الوجودية كتيار فكري معاصر نشأ بعدما أصبح التركيز على الإنسان وماهيته بدل الاهتمام بالوجود وظواهره ،وعليه يمكن القول أن كل ما سبق كان فترة تمهيدية ببروز الوجودية كتيار فلسفي واضح المعالم تتخذ من الوجود الإنساني محورا ومركزا للدراسة والبحث.

المبحث الثاني :كيركيغارد وثورته على المثالية الهيغلية

لقد حاولنا النبش وإماطة التراب عن الجذور القديمة لهذه الظاهرة الحديثة ،ولاشك أن جذورها كثيرة منها الكبيرة ومنها الصغيرة ،إلا أننا اكتفينا بالمهم منها وغضضنا الطرف عن الكثير غير ذي أهمية ،وقد تبن لنا أخيرا فيها ظهرت على مسرح القرون الحديثة أنها ظلت لفترة طويلة في دور الحمل والمخاض ،وأن تلك الاختلافات ،في ألوانها وحجموها إنها تعكس الاختلافات المبكرة للوجودية الحديثة ،وقبل أن نختم حديثنا حول الجذور التاريخية وولوج عالم الوجودية ،المترامي الأطراف الممتد الجوانب وحتى لا نكون كمن قصد المجاري وترك المنابع ،يجدر بنا قبل ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار نقطتين هامتين حتى تتضح مسيرتنا ،ولا نقع في مزالق الخلط والسطحية ،هاتين النقطتين هما :

أولا :هناك نوعيين من الوجودية ،ولكل نوع أعلامه وزعمائه فالوجودية المسيحية المؤمنة يتزعمها كل من مارسيل (1898 -1973) وكارل ياسبرز (1883-1989) وبردائيف ومارتن لوثر(1902-1320) والوجودية الإلحادية والتي يمثلها كل من هيدغر (1889-1976) و كامو (1913-1960) وسارتر (1905-1980) حيث يعتبر هذا الأخير أول ممثل للوجودية في فرنسا والذي مثلها خير تمثيل في الأزمنة المعاصرة وخاصة عن طريق أفكاره والقصص والروايات الوجودية .

ثانيا :أن كلتا النزعتين تعرف بكيركيغارد الأب الروحي للوجودية بكل اتجاهاتها ،إذا كان الأمر على هذا النحو أي وجود نزعتين (وجودية مؤمنة وأخرى ملحدة)فإننا سوف نركز دراستنا على الوجودية الملحدة هذا راجع لأن سارتر وجودي ملحد كما أنه منطلق دراستنا لفلسفته الوجودية الملحدة .فالوجودية تيار فلسفي يعلى من الإنسان ويؤكد على على تفرده فهي حركة فلسفية ظهرت في أوروبا أثناء القرنين التاسع والعشرين الميلاديين،حيث سميت بهذا الاسم لأن معظم أعضائها اهتموا مبدئيا بطبيعة الوجود ،فقصدوا بمصطلح الوجود البشري ،فلقد نشأت الوجودية من جهود اثنان من مفكري القرن التاسع عشر وهما سورين كيركيغارد الفيلسوف الدنمركي اللاهوتي البروتستانتي

حيث يعد هذا الأخير مؤسس الحركة ،وفريدريك نيتشه (1844-1900) الفيلسوف الألماني فجاءت إلى حد كبير ثورة ضد فلسفة أوروبا التقليدية التي وصلت ذروتها لد ى الفلاسفة الألمان :إيمان ويل كانط (1724-1804) وجورج ولهلم وفريدريك هيجل ،بحيث يمكن إرجاع تاريخ الفلسفة الوجودية إلى الفيلسوف الألماني كانط immanuel kant.[1]

حيث مال الفلاسفة التقليديون إلى اعتبار الفلسفة علما وحاولوا أن يضعوا مبادئ المعرفة الموضوعية العامة والأكيدة هي مثل أعلى لا يمكن للوصول إليه ،وهم يؤكدون حقيقة أن كل فرد حتى الفيلسوف أو العالم الذي يبحث عن المعرفة المطلقة هو كائن بشري محدود.

وعليه يمكن القول أن الوجودية تعد من أقدم المذاهب الفلسفية لأنها تحي الوجود وليست مجرد تفكير في الوجود فالوجودية هي التي تقول "الوجود سابق على الماهية " فيمكن القول أن أصل الفكرة هي فكرة كانطية فكانط أكد أن كل ماهية والماهية الإنسانية بالذات هي ماهية محددة من قبل وعليه فإن الفلسفة الوجودية فلا تحدد الماهية تحديدا سابقا إلا بالاسم الحرية أي "أن الإنسان يوجد ثم تحدد ماهيته باختياريه ومواقفه"[2] .

وهكذا بدأت الأقوال والآراء تتناقل حول الوجودية وعن أصولها وعن أهم روادها وزعمائها حتى عثروا على ضالتهم المنشودة في سورين كيركيغارد حيث قال أن الوجودية كمدرسة فلسفية لم تظهر إلا على يده فهي لم تظهر إلا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي ،هذا ما أدى إلى اعتباره بالأب الحقيقي والروحي للوجودية [3] ،فلقد كانت وراء موت الإله" نيتشه" الأثر الكبير على كيركيغارد أبو الوجودية ،فلقد كتب كل من "هيدغر" "ياسبرز " كتابات مطولة عن نيتشه واعتباره الشخصية الرئيسية في نشأة الوجودية ،بل في تاريخ الفلسفة بصفة عامة ،لأنه ينهي العصر الكلاسيكي في

1فال جال : من تاريخ الوجودية ، نصوص مختارة من التاريخ الوجودي ، تر فؤاد كامل كامل ، الهيئة المصرية للكتاب 1992 د ط ص9

[2]علي عبد المنعم حنفي : الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة تونس د ط ص525

[3]غولست مصطفى : الوجودية في الميزان ، أبو أحمد الأحمدي ، دار المعارف القاهرة 1985د ط ص7

الفلسفة الغربية ويصبح مرشدا في عالم جديد وهو عالمنا الحاضر ،ويظهر التشابه بين" نيتشه" "وكيركيغارد" كبيرا واضحا فهما ينطلقان من خلفية دينية و أغرضهما الوجودية الواحدة إلا أنها تظهر عند كل واحد منها بشكل مختلف أشد الاختلاف .

حيث كان اهتمام كيركيغارد منصبا حول الكيفية التي يصبح بها الإنسان مسيحيا ،و اشتغل" نيتشه" على الكيفية التي يستطيع بها الإنسان مجاوزة المسيحية أو الخروج منها ،فالإيمان المسيحي في نظرة دين العبيد كما ذكر أن "العقيدة المسيحية في انتحار متواصل للعقل "[1] وفي حين يقبل كيركيغارد ولا يرى بأسا في التضحية بالعقل ،حيث يرفض نيتشه ذلك ويرى أن المسيحية تتضمن التضحية بروح الإنسانية وربما تشويها واستئصالا لحريتها ولذا وجب مجاوزتها بوضع نظرية الإنسان الأعلى supermmanأي الإنسان الذي يتجاوز ذاته ويعلو عليها ،وهي نظرية تؤكد العالم والحياة.

لقد كتب الكثير حول "موت الإله "في فكر نيتشه استنادا إلى قوله "لقد مات الإله وسيظل ميتا ونحن الذين قتلناه وموت الإله بمعنى أخر محرر الإنسان"[2]

لقد كان الإنسان محور فلسفة كيركيغارد "الإنسان الحي بقلقه وهمومه ومخاطره وتجاربه وآلامه الإنسان الذي يحمل الخطيئة ولا يستطيع أن يعيش إلا في الخطر وبالمخاطرة ،لقد كان كيركيغارد رجل الدين ومؤسس الوجودية الأول تلميذ هيغل إلا أنه ثار عليه لأنه لا يريد أن يكون جزءا مهملا من ذلك الكل العجيب عند هيغل ،إنه يرفض أن نفهم الوجود بالعقل ومن هنا يتعين علينا طرح الإشكال التالي :

هل اعتقد هيغل أن الوجود محكوم بنظام عقلاني ؟هل هو كذلك في نظر الوجودية؟ بمعنى أخر ماهي الدواعي التي أدت بكيركيغارد إلى الهجوم على النسق الهغيلي؟

[1] علي عبد المعطي محمد : في الفكر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية د ط ص 78
جون ماكوري ، الوجودية ، تر إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة فؤاد زكرياء ، علم المعرفة ، الكويت ، دط 1982[2]ص62

لا شك أن الفلسفة الوجودية المعاصرة قد تأثرت بعدة جوانب فكرية ومن بينها فلسفة هيغل الذي قام نسقه الفلسفي على أساس المنطق الجدلي العقلي وجعل الحقيقة هي المطلق الذي هو الوجود الواقعي بما فيه من روح لا متناه أو مثال أو عقل كلي يوجد عنه جميع الأشياء [1]،فيظهر لنا الفكر وجوديا واقعيا والوجود الواقعي منطقيا عقليا أي مطابقة والوجود الواقعي المقبول .

يقوم المنطق الهيغلي على الجدل الذي هو الحوار العقل الخالص مع ذاته ويناقش فيه محتوياته فهو كما يقول هيغل "مبدأ كل الحركات والنشاطات التي نجدها في الواقع "[2] ويتكون الجدل من الفكرة والنقيض والمركب بينهم كما أن المنطق عنده ينقسم إلى ثلاثة مذاهب :

فالمذهب الأول هو المذهب الوجودي والثاني مذهب الماهية والثالث هو مذهب الفكرة الشاملة والجدل الحقيقي يكمن في المذهب الثاني الذي يعتبره أقوى وأعمق بحيث يقول هيغل "الماهية أعلى من الوجود لأن الماهية هي الوجود يتعمق في ذاته"[3] ،فكل شيء ينطبق مع ذاته ،فالفلسفة الهيغلية التي قامت المنطق الجديد ابتداء من معنى الوجود ورأت في الوجود سياقا منطقيا جدليا وبذلك أقام بناءا فلسفيا تتألف موارده من مفهومات وتصورات عقلية مجردة يربط بينها منطق محكم هو "الدياليكتيك" الذي تسوده الروح المطلقة في تمام الشعور بذاته، فالوجود هو دائما في حالة إيجاب فأمام الوجود يقوم اللاوجود إذ يقول هيغل "إن حقيقة الوجود واللاوجود هي في هذا الاثنان وهذه الوحدة تسمى الصيرورة"[4].

فالوجود يقوم اللاوجود وهذا الوجود طبقا لمذهب هيغل يلتقي في وحدة يسميها بالصيرورة وبذلك فالصيرورة الهيغلية كانت نظامية عقلية ،فالواقع أن هيغل أعطانا كما

[1] د حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، منشأ المعارف الإسكندرية د ط ص109
[2] علي عبد المعطي محمد : سورين كيركجورد ، منشأ المعارف الإسكندرية د ط ص135
[3] المرجع نفسه ص137
[4] المرجع نفسه ص136

يقول راتب "نسقا مثاليا أكثر معقولية وفهما للعالم وللوجود"[1] أي أن النسق الهيغلي اتسم بنوع من العقلانية .

والجدل عند هيغل يبدأ من مقولة الموجود الخالص في وجود الفكرة خالصة وخيالية من أي تعيين لشيء ما وبذلك فهي مجردة ومطلقة .

فالفلسفة الهيغلية أسست المنطق الجدلي انطلاقا من معنى الوجود المجرد الخالص أي الهوية الخالصة [2] بحيث كانت هذه الفكرة هي البداية والحجر الأساس بالنسبة للفلسفات الوجودية المعاصرة وبقاء هيغل في مجال التصورية واعتماده على مبدأ الفكر الخالص مما أدى بكيركيغارد إلى الهجوم وعلى النسق الهيغلي حيث نظر إليه على أنه نسق لا يستطيع أن يمدنا بالحقيقة التي تستطيع أن تجد الفكرة التي من أجلها أن نحيا أو نموت كما قال هيغل "لا يمكن أن يكون ثمة مذهب في الوجود "[3] وقد خصص كتابين من أعظم كتبه هما "حاشية ختامية غير علمية couluding wuxietifir والشدرات الفلسفية fragements philosophical للرد على النسق الهيغلي .

لقد هاجم كيركيغارد فلسفة هيغل بإنكاره كل مذهب في الوجود إذ رأى بأن المذهب يقوم حائلا بين الفيلسوف والوجود[4] ,كما رأى كيركيغارد كل المبادئ الفلسفية التي ترمي إلى نسق ميتافيزيقي مجرد ورفض محاولات الفلاسفة في بناء أنساق ميتافيزيقية وصلت إلى النضج في بداية القرن التاسع عشر وخاصة تفسير هيغل بالنسبة للكون والتاريخ والإنسان .....عن طريق الاستدلال العقلي وبذلك كيركيغارد أكد أن الفلسفة لا يجب أن تكون مجردة والفلسفة الحقة ليست بحثا في المعاني المجردة وإنما يجب أن ترتكز على تجربة شخصية في هذا السياق يقول "مجوال دوانمينو" "إن الفلسفة هي نتاج إنسانية كل فيلسوف وكل فيلسوف هو إنسان من لحم وعظم يقدم بنفسه لأناس آخرين من لحم وعظم مثله وعلينا أن نترك الفيلسوف ما يريد بكل مشاعره بلحمه وعظمه بكل روحه وجسده

[1] المرجع نفسه ص131
[2] بدوي عبد الرحمان : الزمان الوجودي ، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان ط1 1973 ص7
[3] عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشرط 1 1980 ص21
4برهيه إميل : تاريخ الفلسفة ، الجزء السادس ، تر جورج طرابلش ،دار الطليعة للنشر والطباعة ، بيروت 1985د ط ص303

إنه إنسان يتفلسف"[1] ،مثلا الموت ليست مشكلة فلسفية بل المشكلة هي أني أموت والفرق الواضح بين أن أبحث في الموت بوصفه معناعاما مجردا وبين أني أبحث في أني أموت وبذلك يجب رد المسائل إلى الموجودات بوصفها موضوع.

تعني الموجود نفسه.إن الجدل عند كيركيغارد هو صيرورة ذاتية وليست موضوعية كما هو الحال عند هيغل والموضوعية تفيد الكم و الاتصال ، والذاتية تفيد الكيف والانفصال[2].

إن ينبوع فلسفة كيركغارد هو ذاتيته ،حيث كتب في إحدى مذكراته "أن أجد حقيقة من أجلي أنا ،وأن أجد الحقيقة من أجلها أحيا وأموت" وهو يعلن كذلك أن كل إنتاجه ليس هو إلا تعبيرا عن حياته الخاصة ،وهذه الحياة هي الفعل وليس التفكير بل فعل التفكير أي هذه المعاناة المتكاملة بين إحساس بالمسؤولية تلقاء الحقيقة ،وبين نزوع نحو إيضاحها بالنسب إلى القلق الفيلسوف وحده "[3] وعليه فإن الفلسفة الحقيقة في نظر كيركغارد لا تمثل في المعاني المجردة وإنما في المعاني التي من لحم ودم ،فالفرد الذي هو بذاته عالم المثل إمكانياته في مقابل الغير الذي هو الجحيم فلقد استطاع كيركغارد أن يخلص إلى نتيجة مفادها أن أصالة الإنسان تكمن في اكتشافه الطابع الحقيقي للوجود .

كما أن كيركغارد يعارض أفكار الموضوعية والكلية التي ندى بها هيغل حيث يضع في المقابل ما يسميه بالمفكر الذاتي والحقيقة الخاصة الجزئية فهو ينكر أي معرفة موضوعية عن الأشياء الخاصة وأنه عاش اضطراب في حياته وتقلب وتوترات وبذلك يرى أن التحقق في الوجود وخاصة الوجود الإنساني عن طريق الإرادة والحرية والاختيار أما معارضته لهيغل من جانب الأخلاقي فهو يرى أن النسق الهيغلي لا ينتهي إلى إقامة أخلاق بالفعل ولهذا كيركغارد ندى بوجود ثلاثة مدرجات يمكن ذكرها في ما يلي :

[1] علي عبد المعطي محمد : سورين كيركجورد ، مرجع سابق ص483
[2] فريال حسن خليفة :نقد فلسفة هيغل (كيركجورد ،فويرباخ ،كارل ماكس)دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت 2006 د ط ص74
[3] نطاع مفدى : مجلة الفكر العربي المعاصر ع:3 1980 ، مركز الإنتماء القومي ص5

المدرج الأول :يطلق عليه المدرج الحسي ،هي المرحلة الحسية أو الجمالية مثل الإرادة هو السمة المميزة لهذه المرحلة ،فالفرد الموجود في هذا المجال تنقصه الإرادة الأخلاقية ،لذلك تنقص الفرد القدرة على اتخاذ أي قرار أخلاقي فالاختيار الأخلاقي يختلف عن الاختيار الحسي ،ومن يحيا على مستوى الاختيار الجمالي والحسي يفقد القدرة على السيطرة على ذاته ،ويظل يبحث عن لحظات السعادة المثالية وعن أكثر الأشياء لذة[1] ،وهنا يقصد أن تكون الحياة الإنسان خاضعة للذة والشهوة والتمتع بكل ما هو مرتبط بالحس. **المدرج الثاني**:وهو الذي سماه بالمدرج الأخلاقي يقول "ما هو حسي في الإنسان هو ما به يكون الإنسان مباشر ما هو كائن ،بينما الأخلاقي هو ما به يصبح الإنسان ما أصبح هو من يعيش فيه و به وله[2] .

وهنا يميز كيركغارد بين ما هو حسي في الإنسان وما هو أخلاقي ،هذا الأخير يقصد به أن تكون حياة الإنسان مستهدفة تحقق الخير وقواعد الأخلاق وقادر على اتخاذ القرار.

المدرج الثالث :وهو ما يطلق عليه بالمدرج الديني والذي يقوم على فكرة لأوجد "فكل موجود إنساني هو موجود من أجل نفسه هو حقيقة لا يمكن تكرارها "[3] ومعنى ذلك أن الإنسان الفرد لا يتكرر ،فالتفرد هو امتياز الذاتية الذي يجد تعبيره النهائي في المرحلة الدينية بما فيه من علاقة مباشرة بين الله والإنسان فالمدرج الديني يعني القضاء على اليأس والقلق والذي يكون بفضل الإيمان بالله . كيركغارد رفض النسق الهيغلي رفضا بحيث ثار في وجهه قائلا "لا يمكن أن يكون ثمة مذهب في الوجود"[4] فالمذهب في نظره يقوم عائقا بين الفيلسوف والموجودات فالفلسفة ليست أقوالا خيالية ،بل الخطاب فيها موجة إلى كائنات موجودة .

وفي الأخير نستطيع أن نقول أنه بالرغم ما قام به كيركيغارد من انتقاده لفلسفة هيغل إلا أنه كان يعتبر النسق الهيغلي الحجر الأساس للفكر الوجودي مثلا "فكرة الجدل هناك

[1] فريال حسن خليفة : نقد فلسفة هيغل ، مرجع سابق ص69
[2] المرجع تفسه ص70
[3] المرجع نفسه 73
[4] دعبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ،مرجع سابق ص21

اختلافات بين الجدل الهيغلي والجدل عند كيركغارد إلا أن كيركغارد يحتفظ بالجدل الهيغلي ويرى أن الوجود هو التغير والصيرورة إنه انتقال من الذات إلى الأخر .

والآن وبعد تحلينا لأهم موقف والذي يعتبر الحجر الأساس للفلسفة الوجودية وهو النسق الهيغلي وما تعرض له من طرف أب الفلسفة الوجودية من هجمات وانتقادات تنتقل لأهم نقطة وهي مبادئ الوجودية في الفلسفة المعاصرة.

المبحث الثالث:مبادئ الوجودية في الفلسفة المعاصرة:

لعل ما يجعل الوجودية بوصفها مذهبا جديدا تخص باهتمام كبير من الدارسين والنقاد والقراء ،وتسرف أضواء القرن العشرين من باقي الفلسفات ،هو أنها نشأت احتجاجا هذا الإسراف في الجوانب العقلية والتجريدية ،كما هو الحال مع هيغل إذ يرد الموجود إلى الماهية المجردة ويغفل بذلك آنية وفردية الموجودة ، كما تنكر أي جهد يحاول حصر الحقائق داخل التصورات عقلية ، أو داخل أنساق أو بنية منطقية في حين تجعل الوجودية الجديدة من الإنسان[1] محورا لتفكير الإنسان فمنهج تفكيرها هو النظر في الإنسان على ما (يوجد) لا تحليل ماهيته المجردة ، وبعبارة أخرى ،تبدأ الوجودية من الإنسان باعتباره مفكرا ،وعليه تعتبر الوجودية من أقدم المذاهب الفلسفية ،لأن العصب الرئيسي للوجودية هو أنها تحيا الوجود وليست مجرد تفكير فيه ،يحييها صاحبها في تجاربه الحية ما يعانيه في صراعه مع الوجود في العالم ،وهي بذلك أصدق تعبير عن حالة القلق العام الذي ملك الشعور الإنساني بعد الحربين العالميين فلقد كان لهذين الحادثين أثر بالغ في إشعار الإنسانية بالمعاني الكبرى التي تؤلف نسيج وجودها ،وفي وضعها بصورة مباشرة أمام أكبر مصدر من مصادر قلقها ، إن هذا الواقع السلبي هو جزء من القلق الوجودي فهو الفناء الشامل الذي ينتظم البشرية بأسرها ،مما ولد إحساس بالمأساة استغرق شعور كل فرد من أفرادها [2] حيث اعتبرت هذه المأساة مرحلة ضرورية وامتحان ليعرف الإنسان معنى الوجود الحقيقي متجاوز بذلك شعوره بالقلق.

القلق"ANGOISSE" مصطلح استخدمه "لوك" للدلالة على الإحساس بالضيق والعناء وهذا الإحساس هو السبب الكافي للفعل الإرادي كما ذاع استخدامه في علم النفس العام يفيد استشعار الوجد دون المعرفة مصدره يعكس حالة الخوف "وكثيرا ما يكون القلق من وقع خطر محتمل حدوثه في المستقبل كتوقع عقاب "[3] ومدام أن الوجودية اتجهت بكل

1يستخدم مصطلح الإنسانية الآن للتعبير عن كل نظرية فلسفية ، اجتماعية ،سياسية توضع كهدف فائق التطور غير محدود لإمكانيات الإنسان ، واعتبار واقعي لكرامة الإنسانية

[2]عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص30

[3]مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار القباء د ط ص236

طاقاتها نحو تحليل الفعل والسلوك القيم الوجودية التي تهتم بكيف نختار؟والقلق نوع من القيم التي نعنيها ،فالقلق نوع من الدوار ،وهو القوة النفسية ولكنها ذات سورة خفية "DEMORMAQME"والأصل في هذا القلق هو شعر الفرد في فعله الحر ومن هنا ترتبط الصلة بين الحرية والقلق ،ما يعترف به أن الوجوديين كانوا قد حللوا ظاهرة الجود الباطن التي تتصف به ظاهرة ذاتية حاولوا وصف اليأس والقلق والموت والاختيار غيرها بدون تحريف.

لقد كان كيركغارد الأب الروحي للوجودية ،مهتما بقضايا الإنسان وكانت الفلسفة عنده لا تتمثل في البحث المجرد بقدر ما تتمثل في البحث عن الإنسان الذي من لحم ودم ولهذا وضع كيركغارد الأسس الأولى للوجودية ،فالإنسان بوصفه الذات المفردة هو مركز البحث وأحواله الوجودية الكبرى مثل الموت والخطيئة والقلق والمخاطرة فهي المقومات الجوهرية لوجوده ،والحرية والمسؤولية والاختيار هي المعاني الكبرى في حياته .....ومن هنا قال كيركغارد "إن الاختيار يجر إلى الخطيئة وإلى المخاطرة و المخاطرة بطبعها تؤدي إلى القلق ،قلق على الإمكانيات العامة وقلق من الذي يصيب المرء "[1] .

الإنسان عند كيركغارد لابد له أن يعيش القلق لأنه بدون القلق لا يتوصل إلى حقيقة الوجود ،لأن من طبيعة الإنسان الفرار من المواجهة والسقوط في زخم الحياة اليومية ولكي يستيقظ من هذا الزيف عليه بصدمة وجودية لن تكون إلا في فعل القلق ،هذا القلق الذي انتاب نيتشه سابقا ،وجعله يعلن بموت الإله ليترك البقاء فقط للإنسان ،الإنسان الأعلى الذي يرفض القيم ويتجاوز واقعه الراهن لأن أكثر الناس جميعا قلقا يتساءلون اليوم كيف يمكن المحافظة على الإنسان ؟لكن زاردشت هو وحده أول من يتساءل كيف يمكن تجاوز الإنسان؟ فالإنسان الأعلى هومطلبي اهتمامي ،فهو وحده أول وآخر ما اهتم به وليس الإنسان جاري الأفقر ،ولا أشد المتأملين كلا ولا الأفضل من الناس....إن

[1] د عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص22

الغوغاء التافهين أصبحوا اليوم هم السادة وهم يعلمون لناس التقدير والتواضع ،إلى آخر الفضائل التافهة وسيكون أولئك الذين يسيطرون على المصير البشري ....هم أعظم خطرا يهدد الإنسان[1] وعليه يعتبر كيركغارد من بين الوجوديين الأوائل الذين حللوا القلق تحليلا وجوديا وثمة اختلاف في فكرة القلق بين كيركغارد وهيدغر وسارتر كما يعترف هيدغر بأن "أول من حلل تصور القلق إلى أبعد حد هو كيركغارد"[2] ويعني هيدغر أن مصطلح القلق ارتبط بكيركغارد كان أول من اشتقه وحلله تحليلا وجوديا ،كما أنه عالج مشكلة القلق ،اليأس من وجهة النظر الخاصة بحياته كلها خصوصا بعدما حدث له بعد فسخ خطوبته من "رجين أوولسن" .فالقلق عنده هو قلق إزاء ما نخشى أن يحدث في المستقبل والمستقبل وحده هو مجال الإمكان بحيث لا قلق من حادث مضى إلا من حيث ينتج عليه في المستقبل ،فالقلق يتجه دائما إلى المستقبل ،وحين ينتابنا القلق نشعر بتباطؤ في السريان الزمن إذا اشتد وبلغ ذروته بدت لنا حركة الزمن قد انتهت .

ولا تستطيع أية حياة إنسانية أن تفلت من القلق والقلق كاليأس علامة من علامات الوجود وبذلك حلل

كيركغارد القلق في علاقته بمحاور ثلاثة:

المحور الأول :ينصب على تناول القلق في علاقته بالطهارة .

المحور الثاني :القلق في علاقته بالتكوين الخاص للإنسان من الروح والجسد.

المحور الثالث :القلق وعلاقته بالحرية.

ففي كتابه مفهوم القلق THE CONCEPT OF DREAD يرى أن الإنسان الطاهر النقي القلب يتعرض كثيرا بالقلق خوفا من تمزق طهارته أو فقدان براءته أما الثاني فمادام الإنسان مكونا من الروح وجسد زماني لابد أن ينشأ بينهما صراع وبالتالي يتعرض الفرد الذي هو وحده منهما للقلق أما العلاقة القلق بالحرية فإن الحرية أخذت مكان الصدارة في فلسفة كيركغارد وتبوأت نفس المكان عند الفلسفة الوجوديين الذين جاءوا بعده.

[1] جون ماكوري : الوجودية ، تر عبد إمام عبد الفتاح إمام،مراجعة فؤاد زكرياء ، علم المعرفة ، الكويت د ط ص306
[2] علي عبد المعطي محمد : سورين كيركجورد ، منشأ المعارف الإسكندرية د ط ص303

إن الإنسان يمارس الحرية والإرادة واتخاذ القرار والإبداع ويضع أهدفا يكافح من أجل بلوغها .[1]

إن الحرية عند كيركغارد تقتضي أن يكون الوجود الإنساني في صيرورة دائمة والصيرورة تعني الانتقال من الإمكان إلى الفعل فالصيرورة هي ليست إنتاج للحرية ويربط الحرية بالإنسان تمام الارتباط فوجود الإنسان يعني حريته يقول "ماكري" macQuarri"أن توجد وأن تكون حرا هما تعبيران مترادفان عند كيركغارد ولا يوجد الإنسان أولا ثم يصبح حرا "[2] أي أن كيركغارد رفع من شأن الحرية إلى درجة أنه اعتبرها جوهر الوجود الإنساني ،فحريتي تجعلني أختار وأقرر مصيري والإنسان ينتابه القلق حينما يجازف ويغامر وبذلك هنا تكمن العلاقة بين القلق واختيار الحرية .

إن الدافع للبحث حول المشكلة التي كان يتخبط فيها الإنسان كان راجع لغياب الإنسانية في هذا الكائن البشري غياب سببته أوضاع وتطورات أظهرت حقيقة الإنسان ،فمن الممكن التساؤل كيف لا يرمي الإنسان بالوجود دون أن يقلق أبدا ويشتغل بابتكار جوهره ؟ولماذا ينشغل الإنسان بإعطاء معنى لكلمة إنساني؟لماذا يتخطى وجوده إلى جوهر ما؟

اكتشاف الوجودية قوامه القول أن الانتقال من اللاإنساني إلى الإنساني ،هذا الاندفاع نحو الجوهر لا يعود لشيء فالموجود بوصفه كائنا حرا يعي وجوده دون أدنى تبرير [3] وهذا ما سعى إليه أبو الوجودية كيركغارد.

من خلال ما سبق يتضح أن فكرة القلق من أهم المقولات الأساسية في فلسفة كيركغارد والتي ستنحدر من الفكر الألماني إلى الفكر الفرنسي بصفة عامة وفكر سارتر بصفة خاصة[4]، فالقلق عند كيركغارد يرتبط بكثير من الأفكار الرئيسية التي سنجدها في فلسفة سارتر فهو يرتبط أولا بفكرة الإمكان والاختيار ، ففكرة القلق كما تبناه كيركغارد تكشف كذلك عن ارتباطها بفكرة الحرية وهي الموضوع الرئيسي في فلسفة سارتر ،فمن

[1] جون ماكوري : الوجودية ودراسة توضيحية ، تر إمام عبد الفتاح إمام، بيروت 1982ص 310
[2] د فوزي ميخائيل : سورين كيركجورد، دار المعارف بمصر د ط ص307
[3] نقولا هربان : مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، تر خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط1 1988ص 109
[4] بدوي عبد الرحمن : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص39

أفكار القلق والخطيئة تكشف لنا دراسة كيركغارد عن فكرة العدم باعتبارها عدما حقيقيا إيجابيا عندما يتم الشعور به في حالة القلق .

إن الحرية عند كيركغارد تعبيرا مترادف مع الوجود البشري فالإنسان لا يوجد أولا ثم يصبح حرا بعد ذلك بل أن كونه إنسانا معناه أنه حر بالفعل ،فالحرية إذن جوهر الإنسان وغايته والإثم هو صنف الحرية يقول كيركغارد "أروع وأعظم شيء فطربه الإنسان هو اختيار الحرية "[1] فالإنسان كان عليه أن يختار الحرية والتي تعتبر جوهره الأساسي .

إثبات الذات عند الوجوديين يكون عن طريق حرية الاختيار وفعل الاختيار معناه وجود الإمكانية فالاختيار اختيار بين الإمكانيات وبذلك فالذات تنبثق من هذه القرارات التي يتخذها وهي ليس معطاة منذ البداية ،فالوجوديون يرون أن الإنسان لا يكون ذاته تماما إلا في حالة الفعل الذي يشمل على الفكر والحرية والقرار .

وها هنا نجد العلاقة وثيقة بين الحرية وبين القلق ،فحريتي تجعلني أختار وهذا الاختيار نفسه ممكن بين عدة ممكنات يصيبني بالدوار والقلق دوار الحرية.

إذن مما تقدم نستنتج أن القلق والمسؤولية وموقف الإنساني في العالم والحرية والفعل الخلاق والاختيار كلها معان تنطوي عليها الوجودية بصفة عامة وكيركغارد بصفة خاصة ،فالوجودية بتشبعها وتنوعها تتفق بأن "الوجود يسبق الماهية " يقول سارتر "إن نقطة انطلاقها في الحقيقة هي ذاتية فردية وهذا لدواع فلسفية تماما وليس لأننا برجوازيين ولكن لأننا نبحث عن إرساء تعاليمنا عن الحقيقة وليس على مجموعة من النظريات المليئة بالأمل ، ولكن تنقصها الأسس الحقيقية ،وعند الانطلاق لا توجد حقيقة أخرى سوى هذه الحقيقة "أنا أفكر إذن أنا موجود" الحقيقة المطلقة للوعي وهو يحرر نفسه[2].

---

[1] د زكرياء إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دار مصر القاهرة د ط ص87

2بدوي عبد الرحمن : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص31، "أنا أفكر إذن أنا موجود " يعرف بالكوجيتو الديكارتي وبالتعبير اللاتيني استخرج منه ديكارت حقيقة يقينية لا يتسرب إليها شك ، وهي في الحقيقة وجوده بوصفه مفكرا ، أي إنه يفكر ،هو يشك وبتالي يفكر ولكن من يفكر ، حتى لو أخطأ لا بد أن يكون موجودا وبهذا يصل ديكارت إلى أهم أسس مذهبه وهي مقولة الكوجيتو لينطلق إلى إثبات حقيقة كبرى هي حقيقة وجود الله ، ثم بعد ذلك النفس وأخيرا وجود العالم .

مدخل إلى الفصل الثاني :

تبدأ الفلسفة الوجودية من الإنسان لا من الطبيعة ، فهي فلسفة الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع والذات عند الفيلسوف الوجودي ليست ذات مفكرة فحسب ، وإنما هي الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل وتكون مركزا للشعور والوجدان ، فما تحاول الوجودية التعبير عنه هو هذا المدى الكامل من الوجود الذي يعرف مباشرة وعلى نحو عيني في فعل التواجد نفسه ، لذا فإن الفلسفة الوجودية باختصار هي نتاج للإنسانية وهذا ما كان يرمي إليه جون بول سارتر لذا حولنا في هذا الفصل أن نتطرق إلى أهم المبادئ التي جاءت في فلسفة سارتر الوجودية منها قضية الوجود والماهية ، وأهم المفاهيم كالحرية والمسؤولية ، والإلزام ،والقلق والأهم من ذلك النزعة الإنسانية لأن أهم ما يركز عليه سارتر في وجوديته الإنسان ،لذا يحاول أن يبرز لنا أن "الوجودية نزعة إنسانية" .

المبحث الأول: الوجود سابق على الماهية

إن من بين القضايا التي تطرقت إليها الفلسفة الوجودية قضية سبق الوجود على الماهية وهذا ما نلمسه عند الفيلسوف الوجودي "جون بول سارتر "[1] وقبل أن ندخل في صلب هذا الموضوع لابد وأن لنا إطلالة على بعض المفاهيم .

فلقد بدأت فلسفة سارتر من جملة"ـ ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود " وتحتوى هذه الجملة على معنى وجود الشخص ووجود الآخرين ووجود الأشياء الخارجية التي تكون منها الوجود وإذا ما ذهبنا إلى تعريف الوجود ،فالوجود " كلمة مشتقة من فعل "يوجد" ويعني هذا الأخير أصلا يبرز ،أو ينبثق " [2] والواقع أن أكثر المعاني كلمة "الوجود" شيوعا لا يبعد كثيرا عن قولنا ملقى به من حولنا فالقول بأن شيء ما موجود بعني أننا نلتقي به مصادفا في مكان ما في العالم ،ولو قال قائلا " إن وحيد القرن موجود " يعني بذلك سوف نلتقي به إذن كلمة " يوجد "في هذا المعنى تدل على أن للشيء مكانا وزمانا في العالم الفعلي [3] . أما سارتر فيعرفه على أنه "الوجود الفردي العيني "[4] ،وفي هذا

1سارتر :فيلسوف وجودي ملحد (1905،1980) أبرز شخصية فرنسية في القرن العشرين وأبرز متحدثين باسم الوجودية من خلال مسرحياته ورواياته وفي الفلسفة وسياسة، والأدب والقصص ومن أثاره الروائية " الغثيان " ومن أبرز مؤلفاته " الوجود والعدم " إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى، فليب تودي : أقدم لكم سارتر ، إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ،دار الكتب المصرية ، القاهرة 2002 د ط ص5

[2]جون ماكوري : الوجودية ،تر إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة فؤاد زكرياء ، علم المعرفة الكويت 1982 (د ط) ص 70

[3] المرجع نفسه ص71

[4] المرجع نفسه ص76

ـ ديكارت :فيلسوف فرنسي (1597-1650) يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث وفي الوقت نفسه كان رياضيا ـ عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفية الجزء الأول ،المؤسسة العربية للنشر بيروت ،ط1 1986 ص489

السياق نجد أن سارتر سلم بنوعين من الوجود ، وجود الأشياء الخارجية وهو ما يسميه "وجود في ذاته " أما النوع الثاني فهو وجود الإنسان أو كما يسميه "الوجود لذاته" أما "الوجود في ذاته فهو يتألف من مجموع الواقع أو الوجود المباشر ،إنه سلسلة من الظواهر وإنه الوجود المليء ولهذا فهو معتم بالنسبة إلى ذاته ،لأن مليء بنفسه ليس له داخل في مقابل خارج يكون بمثابة الشعور أو حكم ولهذا كل ما نستطيع أن نقول عنه هو أنه هو وليس بداخله أي ثغرة أن تنفذ منها العدم .[1]

بالإضافة إلى ذلك وما هو في ذاته له وجود بذاته وهو وجود ماهوي ، أما الوجود لذاته فهو يظهر في الوجود أن ينبثق بأن يفصل نفسه كما هو في ذاته وهو حر في اختيار ماهيته فوجوده هو حريته[2] ،ومن هنا فهو يبدأ دائما من السلب ، ولهذا فإن الوجود لذاته هو أساس كل السلب وهو أيضا الوعي أو الشعور إنه الحضور في العالم بوصفه أن فيه جانب من الإمكان وهذا الإمكان يجعل وجوده هناك في العالم وجودا مجانيا ، لذا فإن الوجود لذاته وجود بلا سبب ولا تفسير قذف به في العالم دون أن يعلم وفي هذا الصدد يقول سارتر قي عبارته المشهورة " كل موجود يولد بلا سبب ويستطيل به العمر عن ضعف منه ويموت بمحض المصادفة " وكما قال في كتابه "الوجود والعدم " "إن الإنسان حماسة بلا فائدة ".[3]

[1] د عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 1980 ص265

[2] جون ماكوري : الوجودية ، مرجع سابق ص76

[3] د عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص266

إذن فإذا كان لكل شيء له وجود فلا أن تكون لهذا الشيء ماهية وانطلاقا من هذا ماذا نعني بالماهية ؟

فالماهية ESSENSE هي ما يعبر عن طبيعة الشيء ما "هو" [1] ،وكمفهوم آخر في موضوع ما يتألف من تلك السمات الأساسية التي تجعله موضوعا معينا [2] .

وإذا ما ذهبنا إلى تعريف الماهية عند سارتر فيعرفها في كتابه" الوجود والعدم" "إن الماهية هي ماضي الإنسان وذلك لأنه لما كانت لا توجد طبيعة إنسانية مقررة من قبل ،فإن كل إنسان يضع ماهيته بنفسه ، وهو يعيش ويفعل ويحس"[3].

إذن فإذا كان الوجود يرتبط بواقعة إنه "موجود" وماهية تعتمد على واقعة "ما هو" وكما يقول سارتر في مجلة "العمل" 24 كانون الأول 1944 في التعابير الفلسفية ما يدل أن لكل شيء وجود وماهية ما نعني بذلك ؟.

هنا (ذهن) و(خارج) فما يتصور في الذهن يسمى ذهنيا وما يكون في الخارج يسمى خارجيا ،و مثال على ذلك إذا تصورت إنسانا ذو رأسين ولو تصوت زيدا أو جبلا من الياقوت يسمى كذلك ذهنيا لأن موطنه عالم الذهن.

أما زيد والجسر المعلق في بغداد ، فكل ذلك خارجيا في العالم ، أي خارجا في الذهن فهذه الأمور خارجية لها جزءان " الوجود والماهية "[4] :

---

[1] عبد الحلو : معجم المصطلحات الفلسفية ، مركز التربوي للبحوث والإنماء ، مكتبة لبنان د ط ص58

[2] جون ماكوري : الوجودية ، مرجع سابق ص69

[3] جون بول سارتر: الوجود والعدم ، عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الأدب ، بيروت ط1 1966 ص9

[4] د مصطفى حسيبة ، معجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع 2012 د ط ص686

ومثلا (الإنسان) و(الفرس) و(النخل) و(الماء) كلها مشتركة في أن جميع موجودة وذلك بخلاف الماهية فإن حقيقة الإنسان وماهيته غير حقيقته ،ولتوضيح ذلك مثلا وجود (الضياء) الذي يغمر الأشياء فكل ما في الغرفة يشع عليه ضياء المصباح بينما لكل واحد في الغرفة حقيقة خاصة به[1].

والآن ماذا نعني عندما نقول الوجود يسبق الماهية ؟.

لقد ساد في القرن الثامن عشر أن الإنسان قبل أن يوجد في العالم كانت صورته أو فكرته في عقل الله ، و من هنا كان يقال أن ثمة طبيعة إنسانية ، وهذه الطبيعة الإنسانية هي التصور الإنساني توجد عند جميع الناس ، أي أن كل فرد من الناس هو مثال جزئ لتصور كلي هو الإنسان ، أما الوجودية الملحدة والتي يمثلها سارتر فالمبدأ الرئيسي الذي يضعه هذا الأخير للوجودية " أن الوجود يسبق الماهية " فالإنسان يوجد أولا ثم ينبثق في العالم ثم يتحدد من بعد ذلك ولذلك فليس ثمة طبيعة إنسانية ، بل الإنسان كما يتصور نفسه بعد أن يوجد [2] .

وفي هذه النقطة لابد أن نعلم أن النهج الذي سار عليه سارتر هو منهج الظاهريات الذي أسسه هسرل وهيدجر ،وفيه لا نفرق بين الخارج في الموجود أي بين مظهر وبين مظهر الذي يبدو عليه ، ونستطيع أن نلاحظ بين طبيعة الباطنية تستر وراء هذا المظهر فهذه الطبيعة لا وجود لها ، بل الموجود هو ما يظهر عليه إذن هو حقيقة الشيء ، وهو

[1] المرجع نفسه ص687
[2] د عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص262

نسبي ومطلق معا ، نسبي إلى شخص يظهر له مطلق من حيث أنه لا يحيل إلى شيء وراءه[1].

ولتوضيح هذه القضية أكثر فإذا قلنا أن الإنسان يوجد أولا يعني أنه يتعرف إلى نفسه ويحتك بالعالم الخارجي وتتكون له صفاته ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده . فالإنسان يوجد ثم يريد أن يكون ، ويكون ما يريد أن يكونه بعد القفزة التي بقفزها للوجود ، أي هو يوجد أساسا ثم يكون كون شيئا ، فالإنسان لن يحقق لنفسه الوجود ولن يناله ، إلا بعد أن يكون لنفسه ما يهدف إلى أن يكونه ، لأن ما

نفهمه عادة من الإرادة والرغبة ،هو أنها قراري واعي نتخذه ، بعد أن نكون قد صنعنا لأنفسنا على ما نحن عليه فقد أرغب أن أنضم إلى حزب من الأحزاب وأن أكتب كتاب ....إلخ [2]إذن بهذا المعنى فإن الموجودات البشرية هي وحدها لها خيارات وبهذا وجودها فيما يقول سارتر سابقا على ماهيتها وفي هذه الموجودات البشرية وحدها نحن موجودون ونحن أحرار قبل أن تكون شيء آخر ، ولكن ما معنى هذا الوجود الذي يقصده سارتر في أسبقيته على الماهية وما هي الماهية التي رفضها أن تكون سابقة على الوجود ؟. فسارتر حين يطرح قضيته الرئيسية هذه " الوجود سابق على الماهية " فهو يقصد بذلك الوجود الحسي الجزئي الحسي أي هو الوجود الأنطولوجي والماهية التي رفضها سارتر هي الماهية الفكرية أي "ماهية أنا أفكر الديكارتية " cogito.[3]

[1] المرجع نفسه 265

[2] جون بول سارتر :الوجودية مذهب إنساني ، عبد المنعم حنفي ، مطبعة دار المصرية ، القاهرة ط1 1964 ص15

والتجربة الدالة على ذلك نجد أن سارتر يعود إلى مصدر النبع الفينومينولوجية وهو "الكوجيتو الديكارتي" ويتخذه نقطة بداية انطلاقه الفلسفي وهذا الكوجيتو هو الأنا أو الفكر الخالص ،ومن جهة أخرى فسارتر لا يقف عند هذا الكوجيتو بل اتخذه كنقطة بداية لينظر إلى الأنا الواعي وموضوعه معا [1].

ولتوضيح ذلك نجد الفينومينولوجية phénoménologie [2]عند سارتر هي فينومينولوجيا جامعة أي أنها لا تقف عند "الأنا أفكر" أي الوعي الخالص ولكنها تذهب إلى ما يقصد إليه الوعي من الأشياء [3]،أي الوعي هو الوعي بشيء ما ، أي أنه وعي متجه إلى موضوعا ما ، وهذه الفكرة مأخوذة من هوسرل وتسمى بالقصدية INTENTIONALITAT.[4]

إذن إن سارتر يأخذ عن هسرل انزلاقه إلى التصورية ويحاول أن يظل أمينا لفكرة القصد واتجاه الذات إلى الموضوع من هنا نستنتج بأن سارتر يرى أن الوعي لا يكون أبدا نفسه ، وإنما وعي بشيء خارجي وهنا يقدم لنا مثال " الوعي الذي يتصور شجرة ، يشير إلى شجرة جسم غريب بطبيعته عن الوعي.[5]

1أحمد عبد الحليم عطية : أراق فلسفية (سارتر في ذاكرة العربية) ، منتدى سور الأزكية ، جامعة القاهرة ،2005 ص241

2الفينومينولوجية: تعني دراسة الوعي وأفعاله وموضوعاته المختلفة ، كما أنها تظهر للعقل في حالة صفائه الخالص أي كما تظهر له في خصائصه الجوهرية ، حبيب الشاروني :فلسفة جون بول سارتر ، منشأ المعارف الإسكندرية د ط ص103

3المرجع نفسه ص105

[4]أحمد عبد الحليم عطية : أوراق فلسفية ، مرجع سابق ص160

[5]حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، مرجع سابق ص106

فالكجيتو الذي بدأ منه سارتر يقرر الوعي أي الأنا العارف حيث اعتبره وجودا أو المظهر الأول للوجود ،فالمعرفة عنده شأنها شأن الوجود وبهذا سارتر يبدأ من وجود الوعي ليكشف لنا معنى ذلك الوجود ويقرر بأولوية هذا الوعي من حيث أنه الوجود ،ويشرح لنا في مقولة الكوجيتو "أنا أفكر إذن أنا موجود " ويعني بذلك أن الكوجيتو لا يقرر المعرفة إنما هو يقرر وجود العارف أي وجود الأنا ،ويمكن القول أن الأولوية التي أعطها سارتر للوعي هي أولوية فينومينولوجيا ،وفي هذا السياق نجد هناك اختلاف بين سارتر وديكارت في تأويلهما للكوجيتو ،فديكارت حين يقول "أنا أفكر إذن أنا موجود"[1] فهنا يقرر بوجود الأنا كجوهر مفكر يعني ذلك أن أسبقية الوعي في فلسفة ديكارت هي أسبقية الأنا ويمكن القول أن هذا "الأنا" بهذا الاعتبار هو ماهية أو طبيعة سابقة على الفعل .

وبخلاف ما نجده عند سارتر فهو يذهب في تأويله للكوجيتو على أنه ليس جوهر حائز على طبيعة أو ماهية معينة وإنما هو يعني نفسه وجود الوعي .

أي نفس وجود المعرفة وكأن سارتر حين يقرر وجود "الأنا " يقرر بذلك وجود الوعي العارف بحيث يصبح هذا الوجود سابق على الماهية ، فالوجود بهذا المعنى هو ممارسة سابقة على الماهية ومن غير هذا الوجود لا يوجد كائن عارف وبالتالي لا يوجد معرفة

[1] حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، مرجع سابق ص108

وعندما يقول سارتر أن الوجود سابق على الماهية فهو يعني بوجود الوعي . إذن أن أسبقية الوجود هي أسبقية الشعور والمعرفة[1].

وهكذا إذا نظرنا في فلسفة سارتر إلى هذا التركيب الأنطولوجي للوعي بدا أن الوجود الإنساني في صورة حركة دائبة قوامها الانفصال من الماضي والاتجاه نحو المستقبل وهذه الحركة عينها الوجود الإنساني ليس وجودا موضوعيا متطابق مع ذاته وليس بوسعنا بتالي أن نحدد ماهيته ، فإن الإنسان في فلسفة سارتر ليس حاصلا على أي ماهية ثابتة ،وإنما تتوقف ماهيته على سلسلة أفعاله واختياراته ،ولكي يختار الإنسان لابد له أن يكون موجودا ومن هنا كانت قضية الرئيسية في فلسفته أن الإنسان كائن أولا ثم يصير بعد ذلك هذا وذاك .

وبهذا التأويل للكوجيتو تنتهي إذن القضية الرئيسية في فلسفة سارتر وهي "الوجود سابق على الماهية" فالقضيتان" سبق الوجود على الماهية " وأولوية الوعي من حيث هو وجود يعبران عن شيء واحد ، أو هما بالأحرى قضية واحدة يستمدها سارتر أصلا من الفلسفة الدكارتية.

[1] المرجع نفسه ص 109

***المبحث الثاني*: الحرية**

إن من أهم الأفكار التي شغلت اهتمام الفلاسفة على مر التاريخ الإنساني كله " فكرة الحرية " ، ولذلك نجد الفلاسفة على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم يتناولون هذه المسألة بشكل أو بآخر من ثنايا حديثهم عن مشكلات الفلسفة، فقد تعرضت فكرة الحرية لامتحان عصيب وجدال لازم الفكر الفلسفي منذ فجر التاريخ حتى تاريخنا المعاصر. وتعد الحرية من الأفكار الجوهرية في الفلسفات الوجودية فقد وحدت هذه الأخيرة بين الوجود الإنساني والحرية ومدام الوجود يسبق الماهية فإنه لا عذر للإنسان بإحالة سلوكه وتفسير أسباب تصرفه إلى وجود طبيعة إنسانية مسبقة ومحددة الصفات ، هنا يصبح الإنسان هو هو الحرية [1] .

فسارتر كان واحد من أهم الفلاسفة الوجوديين الذين عالجوا مشكلة الحرية ، فالحرية عند سارتر ليست قدرة من قدرات أو ملكة يكتسبها الإنسان وإنما هي في صميم الجود الإنساني بحيث لا يمكننا أن نتناولها دون أن ندرس الوجود الإنساني ، فقد رأينا في المبحث الأول أن الإنسان ليس حاصلا على أية ماهية معينة تتحدد في نطاق أفعاله وإنما وجوده سابق على ماهيته كما يقول سارتر ، وإذ يمكنا القول أن الحرية مثل الوجود سابقة على الماهية الإنسانية وفي هذا السياق يقول سارتر " إن ماهية الكائن البشري

[1] جون بول سارتر : وجودية مذهب إنساني ، تر عبد المنعم حنفي ط1 1964ص25

معلقة بحريته "[1] فالحرية هي التي تجعل الماهية ممكنة وذلك الإنسان لا يكون أولا من أجل أن يكون حرا وإنما ليس هناك فارق بين الوجود الإنساني وكونه حرا [2] :

يقول سارتر فنحن مقضي علينا أن نكون أحرارا على حد تعبير شخصية في إحدى المسرحيات ، لكن ما معنى أن نكون أحرار ؟ فسارتر في هذا السياق لا يرى في الحرية درجات " مثل السجين حر كالشخص الذي نقول عنه حر سواء بسواء "[3]

إن سارتر يحدد معنى الحرية قائلا " إن اختيار حريتك في عالم الفعل والنشاط الاجتماعي والسياسي "[4] ويتضح من خلال هذه المقولة أن الحرية السارترية مرتبطة بالاختيار أي لا يمكن للإنسان أن يتمتع بهذه الحرية إلا ساهم في خلقها وتحقيقها ، بل أن مصدر الحرية تنحصر في أنها مصدر فعلها ، فالإنسان لا يوجد إلا إذا اختار لنفسه وحريته عاملا على خلق ذاته[5] :

ويؤكد لنا سارتر عل أهمية الاختيار، ويقدم لنا في روايته الشهيرة " الغثيان " صورة ما لحالة أزمة إنسان حيث لا يستطيع البطل في هذه الرواية أن يتفادى كونه حرا ولا يستطيع القيام بعمل مالم يمارس حريته ويختار نظرة تعسفية ليضفي معنى على

[1] حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر، الناشر العرف بالإسكندريةد ط ص133

[2] جون بول سارتر : الوجود والعدم (بحث في الانطولوجيا الظاهرية)، تر عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ط1 1966ص 81

[3] جون فال : من ديكارت إلى سارتر ، تر فؤاد كمال مراجعة فؤاد زكرياء ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة د ط ص164

[4] د عبد المجيد عمراني : سارتر والثورة الجزائرية ، الناشر مكتبة مدبولي ، الجزائر دط ص15

[5] علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، الناشر المكتبة القومية الحديثة طنطا 1996 د ط ص34

عالمه "[1] أي أن الإنسان من خلال اختياراته الحرة يصنع نفسه ،فهو يختار غايته وباختياره لها يمنحها وجودا متعاليا ، ومعناه أن الإنسان بحكم ظهوره يحدد وجوده الخاص بواسطة هذه الغايات التي يصنعها لنفسه ومن خلال هذه الغايات يحدد الإنسان ماهيته [2] ، لكن سارتر يحدد في السياق أنه لا يكفي لكي يوجد الإنسان أن تكون اختياراته تحدد في صورة ثابتة مطلقة أي لا تكون هذه الاختيارات مرة واحدة بل ينبغي أن تتواصل [3] ، وعل ذلك فالكائن الذي تتمثل فيه صفة الوجود الحقيقية لا بد وأن يختار مصيره بإرادته ويملأ حريته دون ضغط أو إكراه في هذا الصدد يقول سارتر " أنا اختار ذاتي باستمرار ولا يمكن أن أكون أبدا بصبغة [4] ، ضف إلى ذلك إن الحرية عند سارتر هي جميع القيم في لا تتوقف على حرية الفرد وبهذا يقول باحترام حرية الآخرين وهذا ما نلمسه من خلال مقولته " إنني لا أستطيع أن أجعل حريتي هدفي ما لم أجعل حرية الآخرين بمثل هدفي " وبهذا يمكننا القول أن الحرية عند سارتر هي حرية ملتزمة أي مرتبطة بالالتزام Engagement ويقول " إذا كان هناك التزام فأنا مجبر على إرادة حرية الأخريين في نفس الوقت الذي أريد فيه حريتي ويوضح لنا من خلال هذه المقولة عن فكرته عن الالتزام ، وذلك يعني أن الإنسان عندما يختار لنفسه ، فإنما يختار لناس جميعا ، وذلك لأن الإنسان بفعل الاختيار والتفضيل يخلع قيمة على شيء

[1] المرجع نفسه ص35

[2] ريجيبس جوليفيه : المذاهب الوجودية (من كيركجورد إلى جون بول سارتر) تر فؤاد كامل ، دار الآداب ، بيروت ط1 1988 ص169

[3] علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، مرجع سابق ص34

[4] علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، مرجع سابق ص38

من الأشياء[1]، إذن إن جوهر الفرد هو الحرية ، هذه الحرية التي تؤكد نفسها ، ولما كانت الحرية اختيار ، وهذا الاختيار ينطوي على النبذ مما يسمح للعدم بولوج الوجود ولهذا كان في الوجود ثغرة لا يمكن ملؤها [2] إن سارتر يربط بين الوجود الإنساني والعدم من جهة من حيث أن الوجود لازم لإفراز العدم ومن جهة ثانية يربط بين الوجود الإنساني وبين الحرية من حيث أن الحرية في قلب الوجود الإنساني وتسبق الماهية الإنسانية وبهذا فالحرية في فلسفة سارتر مرتبطة بالعدم من حيث هي شرط لازم لظهوره[3] . إن الحرية كشرط مطلوب لإعدام العدم ليست خاصية تنتسب إلى ماهية الوجود الإنساني ، ذلك أن الحرية تسبق الماهية الإنسانية وتجعلها ممكنة ، وماهية الموجود الإنساني في حال تعلق بحريته [4] فسارتر يرى الحرية هي الكائن البشري الذي يفرز عدمه الخاص فيستبعد بذلك ماضيه ومستقبله ، ومعنى ذلك أن الوعي له القدرة على الفرار من ذاته ، أو الانفصال عنه ، وهذا الانفصال هو ما نسميه العدم [5] .

أي أن الوعي يتحدد باستمرار بسبب الانفصال، فيكون بأنه انطلاق مما كان عليه في الماضي وحتى اللحظة في المستقبل لأنه قد كان الماضي الذي هو تعداد وسيصبح المستقبل الذي لم يكن بعد وهذا ما عبر عليه سارتر في مقولته " أن الوعي هو ما هو ،

[1] جون بول سارتر : عاصفة على العصر ،تر مجاهد عبد المنعم ، دار الآداب ، بيروت ط1 1965ص 104

[2] علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، مرجع سابق ص 36

[3] حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، مرجع سابق 133

[4] جون بول سارتر : الوجود والعدم ، مصدر سابق ص81

[5] حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، مرجع سابق ص134

وهو ما ليس هو "[1] ضف إلى ذلك أن العدم يعني أنه الوعي ، هذا الأخير لا شيء يأتيه من الخارج أي ينفصل عن كل شيء خارجه ويلاشيه ، فهو كذلك ينفصل عن ذاته وعن ماضيه وعن مستقبله وبالتالي فالإنسان هنا متروك لحريته[2] وهكذا فإن العدم الذي يوجد في قلب الإنسان إذن هو الذي يجعل الإنسان حرا ، وهو حريته بحيث يرغمه أن يصنع نفسه بدلا من أن يوجد ، وهكذا تكون الحرية هي الوجود الإنساني أي عدم وجوده[3].

في الحرية يكون الموجود الإنساني هو ماضيه الخاص وكذلك مستقبله الخاص في صورة عدم، فلا بد أن يشعر هذا الموجود الإنساني بالوجود في نوع من موقف وذلك لمواجهة ماضيه ومستقبله ، إذن هذا الشعور يمكن وصفه بما يسمى بالقلق ، فالحرية الإنسانية تتكشف في القلق ، وفي القلق يشعر الإنسان بحريته ، ويجب أن نوضح في السياق أن القلق يتميز عن الخوف من حيث أن الخوف هو الخوف من الكائنات في العالم أما القلق فهو القلق على الذات (الأنا)[4]. ، وينشأ هذا القلق عندما يرى الوعي نفسه مقطوعا عن ماهيته بواسطة العدم ، ويوضح لنا سارتر دلالة هذا القلق ومغزاه في مثالين ويكشف عن أولهما قلق إزاء المستقبل ، كما يكشف عن الثاني قلق الأنا إزاء الماضي أما المثال الأول فيوضحه لنا كتالي " إنه سائر على طريق ضيق بغير حاجز ومطل

[1] المرجع نفسه ص135

[2] المرجع نفسه ص 208

[3] ريجبس جوليفيه : المذاهب الوجودية ، مرجع سابق 168

[4] جون بول سارتر : الوجود والعدم ، مصدر سابق ص87

على الهاوية ويبين لنا ما يصيب هذا السائر من جزع ودوار من خطر الموت الذي يهدده والذي في نفس الوقت قد يتحول إلى واقع وتتحول إلى بعض الاحتمالات ومن بينها فقد ينزلق عل الحجر ويمكن أن يسقط في الهاوية ....الخ وفي هذه اللحظة يظهر الخوف من خلال هذا الموقف فعليه أن يتخذ قرارات وأن يأخذ حذره واضعا بذلك مسالك تبعده عن أخطار العالم لكن في نفس اللحظة يدرك أن هذه المسالك ليس إمكانياته [1] ، لكن إلى جانب هذه الإمكانيات إمكانيات أخرى وهي مثلا عدم الانتباه إلى الحجارة إلى غير ذلك مع العلم أن هذه الإمكانيات لا وجود لها وإنما هو من يستمدها وهو المصدر الوحيد لعدم وجودها ، فخلاصة القول إن حياة هذا السائر ليست متعلقة بكل هذه العوامل ، وإنما متعلقة بما سيفعله في المستقبل الذي لم يتحدد فهو حر إزاء هذا المستقبل كما أنه قلق إزاء هذا الأخير [2] أما القلق على الماضي فيوضحه سارتر من خلال المثال التالي "إنه قلق المقامر الذي قدر بإخلاص ألا يقامر إلا أنه سرعان ما يجد نفسه أمام مائدة اللعب ويرى أن عزائمه قد ذابت ، لكن في معظم الأحيان يقول سارتر أن المقامر قد يقف أمام منضدة القمار ويعود إليه ليطلب منه النجدة لأنه لا يريد أن يقامر بعد[3] ، لكن ما يدركه حينئذ في القلق هو فاعلية القرار الذي اتخذه ، حيث كان مجرد حدث نفسي قد تجمد

[1] جون بول سارتر: الوجود والعدم ، مصدر سابق ص 89

[2] المصدر نفسه ص90

[3] جون بول سارتر : الوجود والعدم ، مصدر سابق ص 92

وانقضى وبتالي يقف أمام مائدة اللعب ويملك الحرية المطلقة ، لكنه في هذه اللحظة يشعر بالقلق من خلال عزمه على ماضيه الذي هو مرهون بالوقت الحاضر[1] .

إذن يتضح مما تقدم أن القلق يعني أن الإنسان يلزم نفسه تجاه شيء ما ويدرك في نفس الوقت أن اختياره سيكون اختيار لما سيكونه ، وأنه لا يختار لنفسه وحدها بل هو مشروع لنفسه ويختار للإنسانية كلها [2] ،هذا من جهة ومن جهة ثانية نجد أن القلق يظهر عندما يجد الإنسان نفسه مسئولا عن هذا الاختيار إذن فمن نتائج الحرية الإنسانية هي المسؤولية وفي هذا السياق يذهب سارتر في قوله " إن الإنسان وقد حكم عليه أن يكون حرا يحمل ثقلا كله على كتفه كما أنه مسؤول عن العالم وعن نفسه "[3] وكلمة المسؤولية تعني شعور المرء هو الفاعل الذي شك فيه لحادث أو شيء[4] .

أي أن الإنسان يحمل المسؤولية الكاملة عن وجوده ولا تقتصر هذه المسؤولية عليه وحده ، بل تمتد إلى الناس جميعا ، لأن القرار الذي يتخذه لنفسه يمس سائر بني الإنسان [5] وهكذا نرى أن مسؤوليتنا أكبر لأنها تلزم الإنسانية كلها وتشمل بذلك حتى الأفعال الشخصية مثلا لزواج ، فاختيارنا مثلا أن نتزوج حتى لو كان هذا الأمر متعلق بشخصية الفرد إلا أن الاختيار يمس جميع الناس وعلى هذا فنحن مسؤولين أمام أنفسنا و

[1] المصدر نفسه ص 93

[2] جون بول سارتر : الوجودية مذهب إنساني ، مصدر سابق ص18

[3] جون بول سارتر : عاصفة على العصر ، مصدر سابق ص 45

[4] جون بول سارتر : الوجود والعدم ، مصدر سابق ص 873

[5] عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 1980 ص 262

أمام الناس جميعا [1] ، وكما لحضنا وقلنا أن المسؤولية تولد القلق والقلق الذي يعنيه سارتر هنا ليس هو القلق الذي يؤدي إلى الاستكانة واللافعل ، بل هو القلق البسيط الذي يعرفه كل من تحمل مسؤولية في يوم من الأيام .

[1] عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ، مرجع سابق ص263

المبحث الثالث : موقف سارتر من الوجودية على أنها نزعة إنسانية

إن الحديث عن الوجودية والإنسان يطرح أمامنا تساؤلات عديدة حول علاقة الوجودية بمشكلة الإنسان فهل يمكن أن تكون الوجودية نزعة إنسانية ، بمعنى هل فعلا كانت الوجودية مهتمة بقضايا الإنسان وأعطت البديل الذي كان يتوق إليه الإنسان في تلك الفترة التاريخية ؟ .

لكن يجب أن نتساءل أولا ما معنى الإنسانية ؟ كان" لفظ النزعة الإنسانية تاريخ طويل تغيرت خلاله معانيه كثيرا ، شأنه شأن معظم الألفاظ التي تظل تستخدم طويلا ولقد برزت بوجه خاص عن أهمية هذه المعاني الثلاثة ، أقدمها معنى أدبي ثقافي ، نشأ في ظل حركة النقد الأدبي ودراسة الثقافة للأدب التي ارتبطت بعصر النهضة الأوروبية ، وهناك معنى اللفظ هي الأفكار والكتابات إلى غير ذلك من معاني رئيسية أخرى"[1] . ويمكننا أن نقول أيضا أن النزعة الإنسانية هي مذهب فلسفي لا ديني يؤكد فردية الإنسان ضد الدين ويغلب وجهة النظرة المادية الدنيوية [2] .

فلقد امتازت النزعة الإنسانية بخصائص عديدة من بينها أنها تبدأ فتأكد أن معيار التقويم هو الإنسان[3] وكما أن من بين خصائصها الإشادة بالعقل ورد المعرفة إليه ونحن

[1] هنتر ليد : الفلسفة وأنواعها ومشكلتها ، تر فؤاد كامل ، دار النهضة لمصر للطباعة والنشر د ط ص395

[2] د مصطفى حسيبة : معجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع 2012 د ط ص 621

[3] د عبد الرحمن بدوي : الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، الناشر وكالة المطبوعات ، دار القلم ، بيروت ، لبنان د ط 1982ص 19

نعني بالعقل هنا " العقل الإنساني "[1] ويجب أن نعلم كذلك هذا العقل الذي تشيده النزعة الإنسانية ليس ذلك العقل الجاف المجرد التفكير بل هو الوعي الكامل للذات الإنسانية في مواجهتها للموضوعات الخارجية[2].

أما عن نشأتها فنقول أنها نشأت في ظل الغبن الذي كان يعيشه الإنسان ، من جراء الأنظمة الاستبدادية والاعتقادات الدينية الظالمة .

"فالإنسانية تدعي إلى التحرر من تبعية رجال الكنيسة ، وتضع تقرير مصيره بنفسه كما تدعي إلى التحرر من أغنام التبعية لتقاليد نظام المراسيم المكتوبة على النحو الذي شكلت فكره وإرادته ، وعبقرت إرادته ، وقد ركزت على اهتمامات البشرية وعلى النشاط الفعلي ، الشخصي الذي يجعل الإنسان كائن حرا قادرا على الإحاطة بكل شيء "[3] .

فلقد أدت التغيرات السياسية والاجتماعية التي شاهدتها أوروبا وإنسان العالم ككل إلى تغيرات شاملة غيرت من نظرة الإنسان للوجود ونظرة الإنسان للإنسان ، فكانت فلسفة عصر التنوير انفتاح الإنسان من هذا الطابع الدامج الذي يعيشه الإنسان ، يحرر العقل ويفرد سيادته على معرفة الوجود الإنساني ، ومن خلال هذا يمكننا القول أن النزعة الإنسانية لزمت من وضع متأزم والقلق الذي كان يعيشه الإنسان ، فكانت بتالي حركة

[1] المرجع نفسه ص 21

[2] المرجع نفسه ص24

[3] فيصل عباس : فلسفة والإنسان ، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة ، دار الفكر العربي بيروت ،ط1 1996 ص116

رمز ، وإنها كانت تمرد كل ما هو معادي للإنسانية ، "أي حركة تمرد واعية بذاتها ، تمرد ضد أسلوب الحياة حيث وجدته زائفا ، شديدا التعقيد ، ودعت الحركة الإنسانية إلى تحرر الفرد من القوالب المتحررة ، الإجتماعية والدينية"[1] .

إذن هل وجودية سارتر كانت بالفعل مذهب إنساني أو نزعة إنسانية التي كان معيارها الوحيد الإنسان؟.

فلقد عرضنا من خلال المبحثين السابقين دراسات لفلسفة سارترفي خطوطها الرئيسية ، وبعضها في تفاصلها العامة وبعض الآخر في تفاصيلها الدقيقة ، وعرفنا أن وجوديته قائمة على مبادئ أساسية ،هي الحرية ،الاختيار ، القلق ،الالتزام ، وغيرها من المبادئ التي من خلالها يعرف الإنسان عالمه ، وعلاقته بالآخرين ، والبحث عن بديل للوضع المأساوي ، يمكن القول أن فلسفته انطلقت من الإنسان لتعود إلى الإنسان ، ومن أجل الإنسان وحده ، لذا استغرب سارتر من اتهامات للوجودية ، بوصفها دعوة للخمول واليأس ، وقد صنف هذه الاتهامات فيما يلي :

1- دعوة الوجودية ودفعها إلى اليأس

2- تقوية الروح الفردية عالمة التي تبتعد عن المجتمع ومشاكله الراهنة .

3- اكتفاء الوجودية بتشغيل مظاهر الحياة الحقيرة ، ونسينها مظاهر الحياة الآملة التي تؤمن بالمستقبل العظيم.

[1] المرجع نفسه ص118

4- تنكر الوجودية لفكر الله وتنكرها للقيم الإلهية وخلوها من مواقف إنسانية للحياة .[1]

حول هذه الاتهامات يرد سارتر لرفع أصابع الاتهام عن فلسفته ، وبين أنها أكثرها تفاؤل و في حقيقتها وجودية إنسانية فيقول " إذا قلنا بإرادة سابقة لجوهر تلازم الفكر على الأقل لنكون متشائمين إذا قلنا أن الإنسان يوجد قبل كل شيء فيظهر في الطبيعة بكل أفعاله مصادفة ، ثم يحدد ويعرف ، هل هذا القول لا يدعو إلى اليأس والكسل والخمول؟ "[2] ، لكن ألا يمكن اعتبار إلغاء أي مبرر للوجود الإنسان ؟ أو بمعنى آخر نفس العناية الإلهية هي دعوة للإنسانية ، لأن يعيش في ضياع مفتوح لوجود للقيم سماوية ويخضع إليها الإنسان ، لا وجود لمراقب ، ولا خوف من قوة مطلقة ، ألا يسمح لهذا الإنسان بأن يتمرد على الآخرين بحيث تكون هذه الحياة عبث وبلا معنى ؟ ألا يسمح هذا بإعطاء مشروعية بأفعال إنسانية تضمن الإنسان وتمزق العلاقات الاجتماعية ، كما يحسن الآن في هذا الدور الذي يعيشه الإنسان فيدمر كل شيء باسم الإنسانية وأي إنسانية هذه التي يتغلب فيها الأقوياء لتداس كرامة ووجود الضعفاء ، يفتقد فيها الإنسان إنسانيته في عالم لا يعرف إلا لغة قوة والسلاح والهيمنة " إذ انتهى الأمر بسارتر إلى تزاول الالتزام الوجودي الفكري إلى التزام الثوري الواقعي "[3] ، بمعنى أن التحليل واقع الاجتماعي التاريخي الذي أفرز هذه النظرة الفلسفية ومثلما يبرزها الواقع المعاصر.

[1] مشتقات من أعلام الفلسفة الوجودية ومعنى الوجودية ، منشورات دار الكتاب ، بيروت ، لبنان د ط ص49

[2] المرجع نفسه ص49

[3] نطاع فردي : مجلة الفكر العربي ، ع 3 1980ص21

إذن من خلال ما سبق وعرفنا ما جاء به سارتر في فلسفته ومن أهم محتواها الوجود والعدم والحرية والمسؤولية ، نستطيع أن نقول أننا وصلنا إلى مغزى أو فحوى إن صح القول هذه الفلسفة لما تتضمنه من نزعة إنسانية حققت للإنسان وجوده ،والنزعة الإنسانية يتجاوز الإنسان لذاته وإدراج هذه الذاتية ، وخاصة في وجودية سارتر التي تقوم بأسبقية الوجود على الماهية وبذلك نجد أن الإنسان هو الذي يقرر أفعاله وقيمه ، مدام قذف به في هذا العالم من دون مشرع وبهذا فالفلسفة الوجودية التي من خلالها يريد سارتر أن يؤسس الحرية الإنسانية " فالإنسان وجد أولا ثم جوهره ثانيا [1].

فالإنسان يولد ويحيا على هذه الأرض عدة سنين وقد عرفه الغير في سنوات عمره شيء موجود لا أكثر ولكن بعد سنين يجد أنه قد تجوهر وظهرت دلالته فأصبح معلما أو طبيبا أو غير ذلك وهذا ما يعنيه لنا دون أن يكون خيرا للآخرين وعلى هذا فأنا مسؤول أمام نفسي وقبل الناس أجمعين ذلك الأمر بنسبة إلى الحرية ، فلفلسفة الوجودية تأكد على حرية الفرد بأنه يجب أن يكون حرا وهذه الحرية تكون مرتبطة بحرية الآخرين وبإرادتهم للحرية ، اكتشف أيضا أن حريتي تتوقف تمما على حرية الغير وهذا ما نلمسه من خلال هذه المقولة " حرية الغير تتوقف على حريتي "[2].

أي لا أستطيع أن أتخذ من حريتي إلا أن أتخذ من حرية الآخرين غاية أيضا وهذا ما يفسره وقوف سارتر لدى الشعوب المظلومة أنا ذاك في وقته من الهند الصينية

[1] دكتور مصطفى غالب : موسوعة الفلسفية ، سارتر د ط ص180
[2] دكتور مصطفى غالب ، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق ص264

والجزائر ، وهذا ما يمكن النزعة الإنسانية المنزهة عن كل أنانية وبهذه الحرية يستطيع الإنسان أن يكسب كرامة للجميع.

إذن يتضح أن سارتر رفع من شأن الحرية لدرجة أنه اعتبرها جوهرة الوجود الإنساني وهذا شيء إيجابي في نظرية سارتر مادام أنها تمكن استمرارية ودوامة الوجود الإنساني في أعماله وأفعاله وقيمه ، ولهذا يقول سارتر في كتابه الوجودية نزعة إنسانية " إن الوجودية نظرية تجعل الحياة الإنسانية ممكنة وتأكد أن كل حقيقة وكل فعل يستلزم وسطا وذات إنسانية "[1] .

فالوجودية تعطي للإنسان أهمية كبيرة وتجعل له مكانة في تحديد الأشياء وبذلك فالإنسان هو المصدر الوحيد بالنسبة للوجودية في تحديد على أنه كائن أو ما يكون مستقبلا ، وفي الأخير نستطيع أن نقول أن النزعة الإنسانية السارترية تنقسم إلى مفهومين :

المفهوم الأول: يجعل الإنسان هدفا ثانيا لكل جهد يقوم به

المفهوم الثاني : أن الإنسان لا يبلغ إنسانيته إلا بتوقفه على ذاته وبذلك نجد الإنسان هو مشرع لنفسه و بهذا نقول أن الوجودية كانت وجودية إنسانية إلى حد كبير لأنها أولت للإنسان أهمية كبيرة ورأت على أنه صانع قيمه وباعث الحياة وحر في كل ما يختار مادام أن الله غير موجود ، ومن هنا تظهر النزعة الإنسانية عند

[1] د سعد عبد العزيز حياتو : مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، مكتبة أنجلو مصرية د ط ص76

سارتر خاصة في مقولاته الفلسفية من قلق وحرية ووجود إلى هذا نستطيع أن نقول أن نزعة سارتر كانت نزعة إنسانية محضة لما أولته من اهتمام للوجود الإنساني وإعلاء من قيمته وهذا ما نلمسه من خلال المقولة التالية" الوجودية إنسانية لأنها صنع الإنسان فلا مشرع له غير نفسه"[1] .

وبهذا التمجيد لموقف سارتر من الوجودية على أنها نزعة إنسانية ، فنستخلص أن الوجودية تدفع عن نفسها تهمة فلسفة الاستسلام وتشاؤم ، فهي ليست فلسفة استسلام لأنها تعرف الإنسان بما يفعله أ ، وليست تشاؤمية لأنها مذهب أكثر تفاؤلا وذلك بجعلها مصير الإنسان بين يديه .

[1] د مصطفى غالب : الموسوعة الفلسفية ، رجع سابق ص93

قائمة المصادر

01-جون بول سارتر : الوجود والعدم (بحث في الانطولوجيا الظاهراتية) ترجمة بدوي عبد الرحمن منشورات دار الآداب ، بيروت ط1 1966

02- جون بول سارتر :الوجودية مذهب إنساني ، ترجمة عبد المنعم حنفي ، مطبعة دار المصرية ، القاهرة ط1 1964.

03- جون بول سارتر : عاصفة على العصر ، ترجمة عبد المنعم ، دار الآداب بيروت ط1 1965

قائمة المراجع

01-إميل برهيه : تاريخ الفلسفة ،الجزء السادس ،ترجمة جورج طرابلش ،دار الطليعة للنشر والطباعة ، بيروت ط1 1985

02- إبراهيم زكرياء : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دار مصر ، القاهرة (د ، ط)

03-بدوي عبد الرحمن :دراسات في الفلسفة الوجودية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر(د، ط) 1980

04-بدوي عبد الرحمن : الزمان الوجودي ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ط1 1973

05- بدوي عبد الرحمن : الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، الناشر وكالة المطبوعات ، دار القلم بيروت ، لبنان (د، ط) 1982

06- جون ماكوري : الوجودية ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة فؤاد زكرياء ، علم المعرفة ،الكويت (د، ط) 1982

07- حبيب الشاروني : فلسفة جون بول سارتر ، منشأ المعارف الإسكندرية (د، ط)

08-رمضان لاوند : الوجودية والوجوديين ، دار المكتبة الحياة ، بيروت (د ،ط)

09-رجيبس جوليفيه : المذاهب الوجودية (من كيركجورد إلى جون بول سارتر) ترجمة فؤاد كامل ، دار الآداب بيروت ، ط1 1988

10-سعد عبد العزيز حياتو : مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، مكتبة أنجلو المصرية (د،ط)

11-علي عبد المعطي محمد : في الفكر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (د، ط)

12-علي عبد المعطي محمد : سورين كيركجورد ، منشأ المعارف ، الإسكندرية(د، ط)

13 -عبد المجيد عمراني : سارتر والثورة الجزائرية ، الناشر مكتبة مدبولي ، الجزائر(د ،ط)

14- علي حنفي محمود : قراءة نقدية في وجودية سارتر ، الناشر مكتبة القومية الحديثة طنطا (د،ط) 1996

15- غلوش مصطفى : أبو أحمد الأحمدي ، الوجودية في الميزان ، دار المعارف ، القاهرة(د ،ط) 1985

16- قزي عزت : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، الكويت (د،ط)1993

17- فال جال : من تاريخ الوجودية ، نصوص مختارة من التاريخ الوجودي ، ترجمة فؤاد كامل ، الهيئة المصرية للكتاب (د، ط)1992

18- فريال حسن خليفة : نقد فلسفة هيغل ، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ط1 1988

19 - فريال حسن خليفة : نقد فلسفة هيغل (كيركجورد ،ويرباخ ، ماركس) دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط2 2006

20- فليب تودي : أقدم لكم سارتر ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة المصرية(د،ط) 2002

21- فيصل عباس : الفلسفة والإنسان، جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 1996

22- معنى الوجودية : دراسات توضيحية مشتقاه من أعلام الوجودية ، دار الكتاب بيروت ، لبنان (د،ط)

23- فوزيه ميخائيل : سورين كيركجورد ، دار المعارف بمصر(د،ط)

24- مصطفى النشار : المصادر الشرقية القديمة ، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1988

25- محمد علي أبو الريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، دار الجامعات المصرية ط4 1772

26- نقولا هربان : مدخل الفلسفة المعاصرة، ترجمة خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط1 1988

27- هنتر ليد : الفلسفة وأنواعها ومشكلتها ، ترجمة فؤاد كامل ، دار النهضة لمصر للطباعة والنشر(د،ط)

قائمة المعاجم والموسوعات

01-بدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلاسفة ، الجزء الأول ، المؤسسة للدراسة والنشر ، بيروت ط1 1986

02- عبد الحلو :معجم المصطلحات الفلسفية ، مركز التربوي للبحوث والإنماء مكتبة ، لبنان (د،ط)

03- علي عبد المنعم حنفي : الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة ، تونس (د،ط)

04- مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(د،ط)

05 - مصطفى حسيبة : معجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع(د،ط) 2012

06- مصطفى غالب : موسوعة فلسفة سارتر (د،ط)

قائمة المجلات

01-أحمد عبد الحليم عطية : أوراق فلسفية (سارتر في الذاكرة العربية) ع: 14 منتدى سور الأزكية جامعة القاهرة 2005

02- نطاع مفدى : مجلة الفكر العربي المعاصر ،ع :3 مركز الانتماء القومي ، بيروت 1980

الخاتمة

في النهاية ، ومن خلال بحثنا المتواضع لفلسفة جون بول سارتر ودراستنا لبعض مفاهيمه الفلسفية ،اتضح لنا اهتمامه الكبير بالإنسان وما يعانيه من إهمال لهذا عبر عن إرادة الإنسان لكي يجد لنفسه مخرجا من هذا ورغم قمة الوعي بأهمية الإنسان – الموجود – الذي يتميز عن سائر الموجودات الأخرى – إذ أن سارتر بأسلوبه الواضح والميال إلى جدال والكفاح استطاع أن يكشف الإنسان في صميمه حيث عرفه بأنه " الوجود والوجود الوحيد الذي سبق فيه وجود ماهيته " أي أن وجوده يبرز في العالم ثم يتم تعريفه فيما بعد هذا ما تجلى لنا بأن فلسفة سارتر هي نفسها فلسفة الإنسان .

وهذا ما أدى بسارتر إلى تسمية فلسفته الوجودية باسم النزعة الإنسانية التي يمكن اعتبارها بحق فلسفة إنسانية ، عاد الإنسان اعتباره وجود الحق وعلية فإنه من خلال المفاهيم التي ووقف عليه سارتر في كتابه " الوجودية نزعة إنسانية " " الوجود والحرية والمسؤولية والقلق والإهمال والإنسان المشرع" فهي كلها مقولات فلسفية تحتوي معنى جانب الإنساني من نزعة الإنسانية .

إن موضوع نزعة إنسانية موضوع جدير بتأمل والاستقصاء بهدف توكيد معنى الإنسان ومعنى الجانب الإنساني الذي ينطوي عليه الموجود الإنساني .

وفضلا على ما رأينا نجد أن جون بول سارتر اختلف عن الفلاسفة الوجوديين لأنه ارتضى أن يطلق على مذهبه اسم الفلسفة الوجودية كما أن نجاحه الفلسفي والأدبي

الذي حققه هو الذي جعله الممثل الأول للوجودية الفرنسية كما أنه تمكن من فضل تفرد فلسفته لعمق تحليلها ودقتها وذلك بإقامة فلسفة متكاملة تتصف بأنها فلسفة تفاؤلية تؤمن بالإنسان وتدعو إلى الحرية

صفوة القول فإن كل من تأمل الاتجاهات البحث الفلسفي بعد سارتر يدرك مدى فلسفة سارتر وإسهاماتها في تطور الفكر الغربي والمتأمل كذلك في التيارات المعاصرة يجد بصمات واضحة وانتشار لأفكاره